www.kassioun.org

909

الإثنين 15 نيسان 2019

حزب الإرادة الشعبية

كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار

قاسيون

أسبوعية - 24 صفحة ● الثمن «50» ل.س ● دمشق ص. ب «35033» ● تلفاكس «00963 11 3120598» ● بريد الكتروني: general@kassioun.org

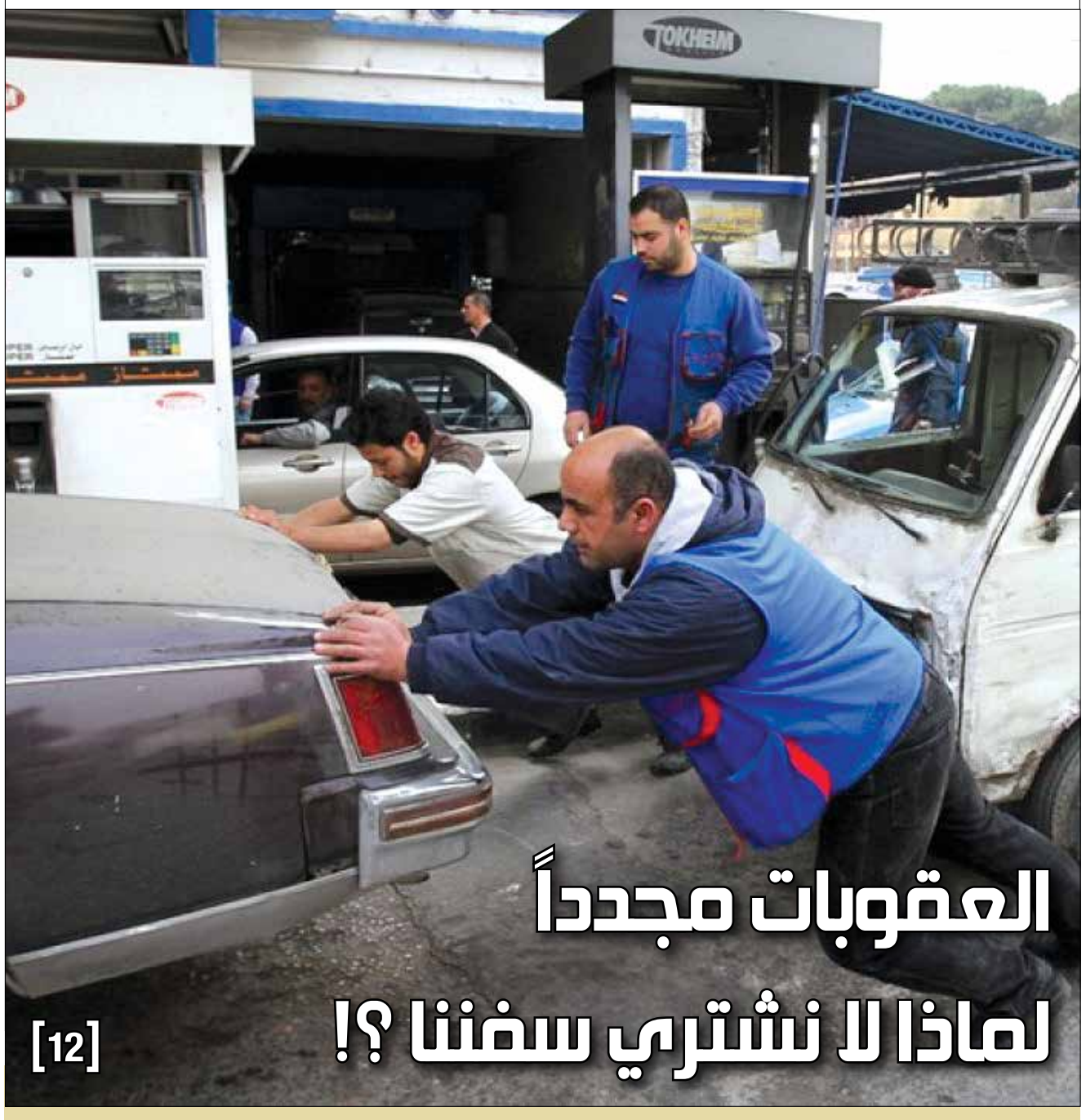

العقوبات مجدداً لماذا لا نشتري سفننا ؟!

[12]

الافتتاحية

السودان والجزائر
الهدف: اجتثاث الفساد

كما تتعلم الأنظمة من أخطاء غيرها، كذلك تتعلم الشعوب من دروس غيرها.

فَلإنْ كانت الحركات الشعبية التي قامت منذ العام 2011 حتى الآن بداية واضحة للحراك الاجتماعي-السياسي العالمي، فإن نضوجها والدروس المستقاة منها تتبلور يوماً بعد يوم.

وليس خفياً على المتتبع وضوح نضج الحراك الجماهيري في الجزائر والسودان في الآونة الأخيرة. مقارنة بما سبقها من حراكات.

فقد اتضح بالتجربة التونسية والمصرية أن تغيير الوجه الأول في البلاد لا يُغيّر في الواقع شيئاً، ولا يؤدي إلى أي تحسن في الأوضاع الاقتصادية لهذه الدول أو للأوضاع المعيشية لتلك الشعوب، ويبدو أن التعاطي السلبي مع مطالبات الشعوب المحقة من خلال إصلاحات شكلية أو تحركات تعطيلية قصيرة الأمد، لا يؤدي مع مرور الزمن إلّا إلى غياب الاستقرار وانفجار العنف والعنف المضاد وانهيار المؤسسات، والوصول إلى وضع تصبح فيه قوى الفساد أكثر تحكماً بمقاليد الأمور مع دخول البلاد في وضع الحرب.

ومع اتضاح الرؤية أكثر، أخذت الشعارات الجماهيرية بالتصويب نحو العدو الحقيقي، ألا وهو الفساد، حيث إن فساد هذه الأنظمة هو ما يحول دون النمو والتنمية الاقتصادية الاجتماعية التي من الممكن أن تجني ثمارها البلدان والشعوب.

وتصبح ثلاثية الوطني والاقتصادي الاجتماعي والديمقراطي أوضح فأوضح، فمطالب الحرية دون تحسين الأوضاع الاقتصادية، لا يمكن أن تعني أي شيء لدى هذه الأنظمة المدفوعة بعجلة الليبرالية الجديدة المهترئة، التي لا ترى في الديمقراطية إلّا أداة لتقاسم حصص الفاسدين، ولا ترى في الجماهير إلّا أداة لزيادة حصص النهب في السلم وفي الحرب.

ولَإنْ كان الوطني أو بالصيغة الأدق الكرامة الوطنية هي ما دفعت الجزائريين إلى رفض العهدة الخامسة، فإن الديمقراطي هو ما كان أداة الضغط التي استخدمتها الجماهير لتوضح للنخبة الفاسدة ألّا مجال إلّا لقول كلمتهم.

واستطاع عجز النظام السوداني عن حل القضايا الوطنية العالقة منذ حين كانفصال جنوب السودان وقضية دارفور، بالتكامل مع قمع الحريات الديمقراطية طويل الأمد، والتدهور المريع لمستوى المعيشة، إنزال الشعب السوداني إلى الشوارع مع اتضاح الهدف ورفض تغيير الرموز مع إبقاء جوهر الفساد، وهي المحاولات التي ما زال يقوم بها النظام السوداني لخداع شعب لن يُخدع لأنه يتعلم من الدروس.

وفي حين تحاول المؤسسات العسكرية في هذه البلدان الوقوف قدر الإمكان على مسافة مرسومة- في نوع من الحفاظ على الوحدة الوطنية، وأكبر قدر ممكن من التماسك- تحاول قوى الغرب التي ما فتئت تتدخل، أن تضع الجيش طرفاً في الصراع من أجل تحويل المطالب المحقة لهذه الشعوب إلى حرب أهلية تعمل فيها على جميع أنواع الفوالق الصغرى. أو إطفاء جذوة هذه الحراكات بتغييرات جد شكلية.

وعلى اعتبار أن الحراكات في الجزائر والسودان ما زالت في بداياتها «مع شعاراتها الأكثر عمقاً مما سبقها من الحراكات»، فهي ما زالت مرشحة لأن تقوم بتغييرات أكثر جذرية وعمقاً وشمولاً، تحولات على مستوى الكرامة الوطنية والحريات الديمقراطية والنمو والعدالة الاجتماعية.

شؤون عمالية

وين الدولة؟

02

ملف «سورية 2019»

لماذا زحمة مبادرات حل الأزمة؟

05

شؤون محلية

أزمة المشتقات النفطية على حساب المواطن

10

شؤون عربية ودولية

واشنطن تفقد عقلها!

19

بصراحة

■ محمد عادل اللحام

المؤتمر الـ26 للنقابات للتذكير فقط

التقرير العام الذي قدم للمؤتمر الـ26 للاتحاد العام لنقابات العمال عام 2015 حوى في تقريره السياسي تحليلاً مهماً لما فعلته السياسات الليبرالية في الاقتصاد بشكل عام، وبالمستوى المعيشي لعموم الفقراء ومن ضمنهم الطبقة العاملة، وهذا التوصيف المقدم يعبر عن وعي الطبقة العاملة والحركة النقابية لتلك المخاطر العظيمة التي تعرضت لها البلاد والعباد، الكوارث الحقيقية التي كان جزءً رئيس منها تلك السياسات التي خلقت المقدمات اللازمة للانفجار الاجتماعي والسياسي، وما تبعه من تطورات كادت تودي بالوطن بسبب تضافر تلك السياسات مع التدخلات الخارجية الواسعة، مستفيدة من الثقوب الكبيرة التي أحدثتها اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، وهنا سنذكر بما جاء به المؤتمر في ذروة الأزمة الوطنية.

جاء في التقرير السياسي ص5 «... لقد برزت في سنوات الدورة النقابية الفائتة أخطاء شبه مميتة وسياسات اقتصادية– اجتماعية أدت من ضمن ما أدت إليه إلى إفقار متزايد وتقويض للعدالة الاجتماعية التي تحققت نتيجة مجهودات التنمية الشاملة، وإلى بطالة وإهمال متعمد للقطاع العام عبر استنزافه وإهماله ومحاولات تصفيته عوضاً عن إصلاحه».

وجاء في الصفحة 17 «... إننا نشير إلى هذا التخوف لأننا نلمس مؤشرات تبين أن السياسات الاقتصادية السابقة مستمرة في بعض الأوساط الحكومية رغم أن سياسات الليبرالية الجديدة هي المسؤولة عن الكثير من المشاكل قبل آذار 2011».

إن التشخيص الصحيح للمرض هو نصف الطريق نحو إيجاد علاج شاف له كما يقول السادة الأطباء، وهذا التشخيصَ الذي قدمته الحركة النقابية للمخاطر الوطنية والاجتماعية التي أوصلتنا إليها تلك السياسات مهم للموقع الذي تحتله الحركة النقابية اقتصادياً واجتماعياً، حيث هي ممثلة في كل المراكز الاقتصادية، ابتداءً من مجالس الإدارات والمجالس الإنتاجية وصولاً إلى اللجنة الاقتصادية في مجلس الوزراء، أي: مراكز اتخاذ القرار الاقتصادي المؤثر على مجمل السياسات الاقتصادية والاجتماعية، وهذا على الأقل ما ترددہ النقابات في محافلها ويؤكده أعضاء الحكومة أيضاً، ولكن السؤال: لماذا لم تتمكن الحركة النقابية من فرملة تلك السياسات بالقدر الذي يمنع أثارها ونتائجها على ما هي عليه اليوم، طالما هي موجودة في تلك المواقع المهمة من اتخاذ القرار الاقتصادي والاجتماعي، وطالما الحركة واعية تماماً لمخاطر تلك السياسات كما جاء في التقرير؟!

إن فتح النقاش الموضوعي والمسؤول واسعاً حول مهمات الحركة النقابية ودورها، الآنية، وفي الفترة اللاحقة تُهيئ بدء الدورة القادمة الـ27 ستكون نقطة انطلاق لتعميق رؤية الحركة النقابية والطبقة العاملة، وتمكينها من لعب دور فاعل في صياغة النموذج الاقتصادي الذي لابدَّ أن يحقق أعلى عدالة اجتماعية وأعمق نمو.

وين الدولة؟

الحكي عن تراجع دور الدولة صارع كل لسان، ويمكن ما عاد فينا نعد الشغلات اللي بتتسجل تحت هاد العنوان من كترها، بس الأهم أنو كلنا عم ندفع ضريبة هالتراجع ع حساب عيشتنا وخدماتنا.. لك وحتى ع حساب نفسيتنا..

■ نوار الدمشقي

يعني الرواتب مثلاً لوحدها مصيبة المصايب.. ومع هيك في إصرار أنو ما يزيدوها وعم يضحكوا علينا أنو بدهم يحسنو المعيشة بس من بوابات تانية.. لك دخلكم وينها هي البوابات؟

الأسعار بالسوق فلتانة والغش ضارب أطنابو.. والمواد اللي صرعونا بدعمها كل مالهم عم يبلعو الدعم تبعها وصارت بالسوق السودا.. من الخبز للمازوت للغاز للبنزين.. وع مستوى الخدمات ما شالله شايفين وضع الكهربا وكيف صرنا ع البدائل.. والتعليم وكيف صار تلميذ الصف الأول بدو دروس خصوصي.. والمي بالقطارة وبالبيدونات والصهاريج.. والاتصالات وكيف وضع شبكة النت وكيف بتتعامل معنا شركات الخليوي ع الثانية.. والمواصلات شَحّار وخراب ديار، وحدث ولا حرج كل مرة أزمة وكل مرة بسبب وشوفة عينكم العجقة والبهدلة والشنططة والمصروف الزايد بالنتيجة.. والمصيبة الأكبر شايفين وضع الزبالة بالبلد وكيف كل بلدية بتتحجج شكل، مرة بقصة المصاري ومرة بقصة المازوت ومرة بقصة الآليات.. ولّا مشاريع السكن اللي من يومها محدودة وهية وقلتها، غير أنو غالية وعطيني عمر.. حتى صارت غالبية الناس ساكنة بالعشوائيات والمخالفات اللي خدماتها ع قدها..

وفوق كل هاد كل كم يوم بتطلع جهة من الجهات وبترفع أسعارها بحجة ارتفاع التكاليف والدولار وغيرو.. غير رفع الرسوم والضرايب المفروضة علينا وبس.. لك وين تحسين المعيشة فهموني.. إذا كل شغلة من هدول صرنا عم ندفع عليها أكتر من قبل ورواتبنا ع حالها؟

الأكل وصرنا عم ناكل وجبة وحدة باليوم بعد ما اختصرنا اللحمة والفواكه والحلويات وغيرها كتير شغلات تانية.. والمواصلات صرنا عم نختصرها ونقضي غالبية مشاويرنا مشي ع رجلينا.. ولبس ما عاد لبسنا متل العالم والناس لأنو حتى البالة صارت غالية علينا كمان.. و ع الدكاترة ما عاد رحنا وصرنا ع المسكنات الرخيصة من الصيدليات كمان.. يعني عيشتنا تماماً صارت «قوت لحتى تموت» وبس.. وياريت اللي عم ناكلو يشبعنا.. لك حتى الموت ما عاد رحمة وصار كارثة لأن القبور صارت بالسوق السودا كمان.. يعني حدا يفهمني شو دخل الحصار والعقوبات مثلاً بأنو السرقة والبلطجة عم تزيد.. والشحادة بالشوارع ع ألعن وأدق رقبة.. والدعارة والمخدرات والحبحبة حدث بدون حرج.. لك وشو بدنا نعد لنعد من مصايب صارت ع روسنا وعم ندفع ضريبتها من عمرنا المبعزق.. وصارت عادي طالما في مين يبرر ليتهرب من مسؤولياتو..

لك وينها الدولة ومؤسساتها.. إذا كل شي بدنا ياه صار تحت إيدين اللي ما بيرحمو من الفاسدين والتجار والمستوردين الكبار والسماسرة وتجار السوق السودا.. وفوق هاد بتلاقي هدول مدعومين ومعفيين من كتير من الضرايب وبعيدين عن المحاسبة والرقابة كمان.. وما ع قلبهم همّ كل البواب بتنفتح ألهم..

يعني كأنو البلد صارت لهدول الكبار وبس اللي عم يبلعو كل شي.. ونحنا الله وكيلكم مو أكتر من كمالة عدد وبدهم يطفشونا كمان..

لك هدول مو لازم يتحاسبو حتى يوقفو عند حدهم قبل ما يبلعو الدولة نفسها.. ولا بدهم يطفشوها حتى تروح البلد كمان؟

لك وين الدولة..؟!

لك وينها الدولة ومؤسساتها.. إذا كل شي بدنا ياه صار تحت إيدين اللي ما بيرحمو من الفاسدين والتجار والمستوردين الكبار والسماسرة وتجار السوق السودا

عمال بلا حقوق؟

يعيش العمال بمختلف تصنيفاتهم «عمال صناعة– عمال زراعيين- عمال عتالة» ظروفاً متشابهة بالشكل العام من حيث المستوى المعيشي، بسبب واقع الأجور وعدم كفايتها لسد الرمق، ولكن الاختلاف بين شرائح العمال في مدى خضوع كل منها لقانون يُثبّت الحقوق ويُنظم علاقات العمال مع أرباب العمل سواء كان رب العمل حكومة أو قطاعاً خاصاً، وهذا الوضع لا ينطبق على عمال الحمل والعتالة

■ عادل ياسين

لايوجد قانون ناظم لعمل عمال العتالة سوى السوق بكل قوانينه المتوحشة، فهم أكثر العمال عرضة وتأثراً بقانون السوق وما يجره عليهم من ويلات، فعمال الحمل والعتالة يعرضون قوة عملهم للبيع في السوق حيث تتحدد قيمتها وفقاً للعرض والطلب عليها، وهذه القيمة التي تباع بها تحدد مستوى معيشتهم وقدرتهم على إعادة إنتاجها مرةً ثانية.

عمال الحمل والعتالة يعمل قسم منهم في الشركات العامة بموجب عقود مع متعهدين خاصين، خاصة في محالج الأقطان والمجمعات الاستهلاكية والأفران بتنزيل وتحميل أكياس الطحين، وفي مراكز توزيع الإسمنت، وعملهم يكون بعقود سنوية تتجدد ليس تلقائياً بل عبر التفاف على قانون العمل، بفصلهم وإعادة إبرام العقد من جديد، حتى لا يترتب على المتعهد تبعات مالية وحقوقية للعمال، وهؤلاء العمال لا يشملهم قانون التأمينات الاجتماعية إلّا بما يشترك به المتعهد وليس لهم تعويض نهاية خدمة أو تقاعد ولا حتى ضمان صحي يضمن لهم العلاج أثناء المرض جراء التعب والإنهاك المستمرين لجهودهم بسبب طبيعة عملهم وشروطها التي لا تتضمن شروط الصحة والسلامة المهنية، ولا غيرها من الشروط التي تقيهم من إصابات العمل والأمراض المهنية.

عمال الحمل والعتلة العاملون في محالج الأقطان، عملهم موسمي ينتهي بموسم ورود الأقطان إلى المحالج، وهم عرضة لكثير من الأمراض، منها: الصدرية وأمراض العمود الفقري بسبب الأوزان الكبيرة المحمولة من أكياس القطن وغيرها، وكذلك هؤلاء العمال لا حقوق لهم سوى قيمة قوة عملهم، وحتى هذه القيمة تخضع للمساومة عليها، أي: العمال يبيعونها بأرخص ثمن ومثلهم العمال الزراعيون الذين يعملون في مواسم حصاد القمح وفي مراكز الاستلام والتسليم.

عمال الساحات

لعبت السياسات الحكومية ما قبل الأزمة دوراً أساسياً في موجات الهجرة لأعداد متزايدة من طالبي العمل من الأرياف إلى المدن السورية ومراكزها، وخاصة من المناطق التي يعتمد سكانها بشكل رئيس على الزراعة في تأمين متطلباتهم المعيشية، حين عملت على رفع أسعار المشتقات النفطية وخاصةً المازوت التي يعتمد عليها الفلاحون في تشغيل مضخات سحب المياه لسقاية أراضيهم، والتي أصبحت كلفتها عالية ولم تعد الزراعة «تجيب همّها» كما يقال هذا الأمر دفع أعداداً متزايدة من الفلاحين إلى هجرة أراضيهم والتوجه نحو المدن للعمل فيها، وأغلبهم كان يفترش الساحات الرئيسة بانتظار فرج الله عليه ليأتيه زبون ويطلبه للعمل بأعمال الترحيل أو أعمال الحمل والتنزيل، وهؤلاء العمال وعائلاتهم يعيشون يوماً بيوم، أي: يوم يعمل يأكل ويوم لا عمل فيه يصبح الأكل فيه صعوبة، وهم ما زالوا على هذه الحال بل تطورت أوضاعهم نحو الأسوأ في موجات الهجرة اللاحقة بسبب الأعمال العسكرية في مناطقهم واضطرارهم للقبول بأدنى مستويات العيش، فهم يعيشون في بيوت غير جاهزة للسكن وليس فيها الحد الأدنى من شروط الحياة الكريمة، ولكن ما العمل وليس في اليد حيله حيث يقول المثل: «شو جابرك عالمر؟ قال الأمرّ منّو..» والأمر هو من جعلهم يعيشون هذه الأوضاع المزرية ويتحملون قسوة الحياة ومرارتها.

الطبقة العاملة

اليمن- شركة نفط عدن

نظّم عمال شركة النفط في عدن تجمعاً احتجاجياً أمام مبنى المحافظة يوم نيسان، وذلك بدعوة من مجلس تنسيق اللجان النقابية في شركة النفط اليمنية.

ويأتي هذا التصعيد دفاعاً عن الشركة وحقوقها القانونية المشروعة ومطالب العاملين فيها بشأن إغلاق مساكب الوقود المخالفة في شركة مصافي عدن بصورة نهائية، نظراً لاضرارها بمصالح الشركة ومصلحة المواطن والمصلحة العامة.

ونبّه المجلس النقابي إلى أنه وفي حالة استمرار حالة التجاهل وعدم الاستجابة لمطالب العاملين في شركة النفط، فإن المجلس سيكون مضطراً للتّصعيد من احتجاجه، والاحتجاج أمام مدخل مدينة البريقة بهدف وقف مرور عملية عبور شاحنات نقل الوقود الخارجة من شركة مصافي عدن.

الولايات المتحدة- موظفو المتاجر

دخل ثلاثون ألف موظف يوم 10 نيسان بإضراب عن العمل في 240 متجراً في مدن كونيتيكت، وماساتشوستس، ورود آيلاند.

وقال الموظفون: إن سلسلة متاجر Stop & Shop تحاول خفض رواتبنا من خلال رفع أقساط التأمين الصحي وخفض مخصصات التقاعد للموظفين الجدد، ومنذ أشهر ونحن نتفاوض مع الشركة حول عقود عمل جديدة مع الشركة.

وصرحت نقابة العمال والتي تُعدُّ جزءاً من اتحاد عمال الأغذية والتجارة الدولي: إن العمال يريدون أن تصبح رواتبهم أكبر، وليس أصغر، خاصة وأن أرباح Stop & Shop تنمو بشكل أسرع من ذي قبل.

وقال العمال خلال الاحتجاج: إن هذه الشركة راكمت المليارات من خلالنا ونحن هنا مضربون ومحتجون لنظهر ما هو عادل وما هو صحيح.

موريتانيا- موظفو هواوي

أعلن عمال شركة «هواوي موريتانيا» الدخول في إضراب عن العمل لمدة أسبوع كامل ابتداءً من يوم 8 نيسان حتى يوم 14 نيسان.

ويحتج العمال على ما يسمونه مماطلة الشركة في تسوية وضعهم الوظيفي كما يشكو العمال من فصل الشركة لعدد منهم خلال السنوات الماضية، إضافة إلى عدم استفادتهم من الزيادات السنوية المستحقة، ومنعهم من الزيادات التي يحصل عليها نظراؤهم في شركات الاتصالات.

وكانت قد جرت مفاوضات بين ممثلي العمال وإدارة شركة «هواوي موريتانيا» خلال الأيام الأخيرة، فيما يتهم العمال الإدارة بأنها متعنتة اتجاه مطالبهم.

وتوفر شركة «هواوي موريتانيا» خدمات لكبريات شركات الاتصال العاملة في البلاد.

ألمانيا- احتجاج الأطباء

نظم الأطباء في جميع أنحاء ألمانيا إضراباً، يوم 4 نيسان، احتجاجاً على ساعات العمل الطويلة والأجور المنخفضة.

وتم تأجيل العمليات الجراحية غير الضرورية، بينما قدمت العديد من العيادات والمستشفيات في جميع أنحاء البلاد خدمات الطوارئ فقط.

وقام العديد من الأطباء بمظاهرة كبيرة في فرانكفورت، مطالبين بتحسين الأجور وظروف عمل أفضل.

ويطالب الأطباء بزيادة الأجور بنسبة 5% وعطلتين في الشهر مجاناً بالإضافة إلى أجر أعلى في حالة استدعاء الطبيب للقدوم في أي وقت للمستشفى إذا اقتضت الضرورة، كما طالبوا أيضاً بوضع جداول مواعيد ثابتة تكون أقل عرضة للتغييرات في اللحظة الأخيرة.

من أول السطر

■ نبيل عكام

من تقرير منظمة العمل الدولية حول الأجور عالمياً

نمو الأجور العالمية في أدنى مستوياته منذ عام 2008، في حين لا تزال المرأة تتقاضى أقل من الرجل بنسبة 20%.

بحسب أحدث تقرير لمنظمة العمل الدولية عن الأجور العالمية، كان نمو الأجور العالمية ضعيفاً، بينما لا تزال فجوة الأجور بين الجنسين التي تبلغ نحو 20% عالمياً مرتفعة بشكل غير مقبول.

تراجع نمو الأجور العالمية في 2017 إلى أدنى مستوى له منذ عام 2008، وهو أقل بكثير من مستوياته قبل الأزمة المالية العالمية، وفق ما جاء في تقرير جديد صادر عن منظّمة العمل الدوليّة.

ويخلص تقرير الأجور العالمية 2018–2019 إلى أن نمو الأجور العالمية انخفض بالقيم الحقيقية «المعدّلة بحسب تضخم الأسعار» إلى 1,8% عام 2017 بعد أن وصل إلى 2,4% في 2016. وتستند النتائج إلى بيانات من 136 بلداً.

وبتحليل نمو الأجور، وجد التقرير: أن نمو الأجور الحقيقة في اقتصادات بلدان مجموعة العشرين المتقدمة تراجع من 0,9% عام 2016 إلى 0,4% عام 2017. وعلى النقيض من ذلك، تأرجح نمو الأجور الحقيقة في اقتصادات مجموعة العشرين الناشئة والنامية بين 4,9 و4,3% في الفترة عينها.

وقال غاي رايدر المدير العام لمنظمة العمل الدولية: «إنه لمن المحير أن نشهد في الاقتصادات ذات الدخل المرتفع تباطؤَ نمو الأجور إلى جانب انتعاش نمو الناتج المحلي الإجمالي وتراجع البطالة. كما أن المؤشرات الأولية تشير إلى أن النمو البطيء للأجور لا يزال مستمراً في عام 2018. وتشكل هذه الأجور الراكدة عقبةً أمام النمو الاقتصادي وارتفاع مستويات المعيشة. وينبغي للبلدان أن تبحث مع شركائها الاجتماعيين عن السبل الكفيلة بتحقيق نمو في الأجور مستدام اجتماعياً واقتصادياً».

في السنوات العشرين المنصرمة، تضاعف متوسط الأجور الحقيقية ثلاث مرات تقريباً في بلدان مجموعة العشرين الناشئة والنامية، فيما لم يزدد في بلدان مجموعة العشرين المتقدمة سوى بنسبة 9% فقط، وفقاً لما يبينه التقرير. ولكن في كثير من الاقتصادات ذات الدخل المنخفض والمتوسط، لا يزال التفاوت في الأجور مرتفعاً، وكثيراً ما تكون الأجور غير كافية لتغطية احتياجات العمال وأسرهم.

فجوات كبيرة غير مقبولة في الأجور بين الجنسين

وقد وجد بأن المرأة على الصعيد العالمي لا تزال تتقاضى أجراً يقل بنسبة 20% تقريباً عما يتقاضاه الرجل.

نادي العمال الرياضي في السويداء

دعم الرياضة مطلب نقابي

ستبدأ بتاريخ 2019/4/22 في محافظة السويداء بطولة كأس الشهيد العمالية في كرة القدم للفرق السداسية على أرض ملعب الشيخ الخاص بمثابة تقدمة من صاحبه أثناء فعاليات البطولة فقط، ويبقى السؤال: إلى متى تبقى الرياضة العمالية بدون رعاية واهتمام؟

■ مراسل قاسيون

أضعف الإيمان تأمين مستلزمات هذه الرياضة من ملاعب وأدوات رياضية! رغم المطالبة المشروعة في مؤتمر اتحاد عمال المحافظة السنوي الأخير بدعم نادي العمال الرياضي، وتأمين شراء قطعة أرض وتأمين التمويل اللازم لإقامة ملعب فيها، حيث وعد رئيس اتحاد العام لنقابات العمال بتأمين التمويل في حال توفر أرض مناسبة.

وقد اجتمعت اللجنة المنظمة للبطولة بتاريخ 2019/4/8 وتم تثبيت الفرق المشاركة، ونظام البطولة الذي تضمن: أن المباراة من شوطين، مدة الشوط 25 دقيقة لعب فعلي، مع بعض الضوابط الفنية الأخرى.

12 فريقاً متنافساً لقاءات حول الرياضة

«قاسيون» التي تستعد لتغطية جميع المباريات ضمن البطولة، كانت قد التقت عدداً من اللاعبين والفنيين الذين تحدثوا عن الرياضة العمالية وضرورة دعمها وتنشيط وتنمية مواهب ومهارات العمال ودعم النادي العمالي الرياضي، والصعوبات المالية التي يمر بها في ظل ارتفاع أسعار الألبسة والأدوات والأجهزة الرياضية، وشح الإمكانات المادية التي لا تستطيع تأمين وشراء المستلزمات الأساسية للنادي.

أحد المدربين تحدث لـ قاسيون قائلاً: «شوفت عينك ليس لدينا ملعب مجهز بعشب صناعي، أو مدرج للمتفرجين وأماكن وكراسي للاعبين، والجهاز الفني. لدينا لاعبون مميزون موزعون على الفرق المشاركة في البطولة، ولا توجد لدينا كرات وشباك للمرمى، والله يعلم بالحال لذلك اضطررنا لقبول العرض المقدم من صاحب ملعب الشيخ الخاص لاستقبال فعاليات البطولة مجاناً».

مدرب آخر قال: «إن النادي العمالي الرياضي برغم إمكاناته المادية المتواضعة، استطاع إيصال ورفد المنتخب الوطني للناشئات لكرة القدم بست لاعبات من أعضاء النادي الذي يشرف على تدريبهم، وقد شارك هذا المنتخب في بطولة غرب آسيا، فكم من الإنجازات والنتائج الهامة يستطيع النادي العمالي الرياضي تحقيقها، لو توفر الدعم المالي المطلوب في ظل وجود لاعبين موهوبين ومميزين».

أحد اللاعبين قال: «الرياضة لدينا مجرد إشباع رغبة وحاجات لدى اللاعب لا تخطى بدعم أو تشجيع المسؤولين المعنيين بالرياضة، لدينا ميزانيات وأموال ونعيش على التبرعات والهبات من بعض الجهات الخاصة لنتمكن من شراء لوازم اللعبة الأساسية، خليها لربك أحسن شي».

ومن المطالب العمالية الملحة على مستوى اللعبة:

ـ تأمين الدعم المالي للنادي العمالي الرياضي، ليتمكن من شراء المستلزمات الضرورية من كرات وشباك وألبسة إلخ..

ـ بناء مدرج للمتفرجين ودورات مياه وحمامات للاعبين، أسوة بالأندية الرياضية.

تأمين التمويل اللازم لشراء أرض مناسبة لإقامة ملعب عليها على نفقة الاتحاد العام لنقابات العمال في سورية.

وظيفة في القطاع الخاص

تعلن شركات القطاع الخاص التي يملكها رجال الأعمال عن فرص عمل بحجم أنهار الذهب، وتبيع وعوداً للباحثين عن وظائف والمعطلين عن العمل بلسان من عسل، ثم يغلقون الباب أمام المتعلقين بقشة الأمل ويقولون: اتركوا لنا سيرتكم الذاتية الخاصة، وسيتصل بكم مكتب الموارد البشرية!

■ مراسل قاسيون

وفي مشهد آخر، تعلن شركات التدريب والتطوير التي لا نعلم من يعترف بها بالضبط، عن دورات باهظة الثمن ويقولون للباحثين عن وظائف والمعطلين عن العمل بلسان من عسل، وقبل أن يغلقوا الباب أمام المتعلقين بقشة الأمل: عشرات الشركات «المحترمة» تبحث عن موظفين في هذا المجال منذ مدة طويلة، ولا يوجد من هو أهل للوظيفة. لذلك سارعوا بالتسجيل في دورات التدريب التي سترفعكم إلى السماء، وسنناقش موضوع التوظيف بعد التخرج!

أما المشهد الثالث، فهو المقلب المتواصل بعد التخرج، أين هي فرص العمل؟ نعتذر منكم، لا توجد شواغر في اختصاصكم! بينما يجري توظيف زملاء في نفس الاختصاص بعد أيام قليلة من الاعتذار وفق قاعدة التفتيت الليبرالي الشامل للطبقة العاملة بحيث تبقى أفراداً بلا قوة.

يغلب في القطاع الخاص بشكل عام ظلم كبير بحق الباحثين عن وظائف والمعطلين عن العمل، إضافة إلى صعوبة تحصيل الحقوق القانونية نفسها، وبالمقابل تعطى هذه الحقوق لمن لا يستحق بناءً على الأهواء والعلاقات الشخصية والمحسوبيات أو لدواعي الاستغلال، وكذلك الحديث بالنسبة إلى طريقة توزيع فرص العمل.

أصبح السوريون بين مطرقة الحاجة إلى العمل، وسندان شروط التوظيف السيئة والعلاقات الشخصية والمحسوبيات في القطاع الخاص، إضافة إلى تغييب قانون العمل وعدم التمتع بمظلة التأمينات الاجتماعية والتهديد المستمر بالتسريح وغياب دور النقابات والاستقرار الوظيفي ومزاجية أرباب العمل في طريقة توقيع العقود وتوزيع فرص العمل. أما ظروف العاملات والنساء الباحثات عن عمل، فالاستغلال مضاعف في الأجور والتوظيف والحقوق.

كل ذلك من أفضال الليبرالية الجديدة التي تُفرّخ رجال الأعمال في بلادنا لأداء وظيفتين، الوظيفة الأولى: نهب الاقتصاد، والوظيفة الثانية: تفتيت الطبقة العاملة كطبقة والهيمنة عليها عبر التشريعات والقوانين.

لماذا زحمة مبادرات حل الأزمة؟

ظهرت خلال الشهرين الماضيين عدة مبادرات لحل الأزمة السورية، ونقصد هنا المبادرات التي أعلنت من تجمعات وشخصيات سورية وتحت عناوين متعددة.

■ سعد صائب

ورغم أنّ المشترك بين هذه المبادرات هو عدم وضوح الخارطة الضمنية التي تستند إليها، وهذا من طبيعة الأمور في مسائل من هذا النوع، إلّا أنّ المشترك الأكثر أهمية بين القسم الأعظم من هذه المبادرات هو قفزها عن أية إشارة للقرار 2254، بل وعلى العكس يتضمن قسم من هذه المبادرات ما يشير بشكل شبه علني إلى «ضرورة» تجاوز 2254... فكيف يمكن تفسير ذلك، وما الهدف منه؟

الركود على وشك الانتهاء

يمكن القول: إنّ حالة من الركود قد سيطرت على الملف السوري ابتداءً من الشهر التاسع من العام الماضي؛ فعلى الصعيد الميداني، وبعد ما يقرب من عامين متواصلين من تضييق مساحات العمل المسلح، توقفت الأمور «شكلياً» عند حالتين معقدتين في إدلب والشمال الشرقي. وعلى الصعيد السياسي، ورغم الصخب العالي الذي رافق تحركات دي مستورا وجيفري حول اللجنة الدستورية، إلا أنّ شيئاً لم يتحقق بعد بصيغة نهائية.

يمكن القول أيضاً: إنّ الكباش الدولي خلال الأشهر الستة الماضية وصولاً إلى اليوم الذي أطلق فيه ترامب إعلانه حول الجولان، كان يدور بأسره حول نقطة واحدة أساسية: ما هو مصير أستانا؟ وأستانا التي نعنيها هنا ليست مجموعة عمل مؤقتة بين دولٍ ثلاث جرى إنشاؤها لحل قضية اهتمام مشترك فحسب، بل وأهم من ذلك وأعمق بمراحل، إنّ مجرد وجود ثلاثي أستانا جنباً إلى جنب يعني «خرقاً» غير مسموح به غربياً، وأميركياً على الخصوص، ضمن نظام العلاقات الدولية القائم على حرب الجميع مع الجميع التي يديرها الأمريكي.

نقول: إنّ مصير أستانا كان النقطة الأساسية، لأن السلوك الغربي بمجمله، وضمناً سلوك دي مستورا، كان موجهاً لمحاولة ضرب الثلاثي بعضه ببعض عبر مختلف الوسائل والملفات المتاحة، من اللجنة الدستورية إلى إدلب إلى الشمال الشرقي ووصولاً إلى العقوبات والتهديدات المتكررة، ولا عجب أنّ صوت جيمس جيفري كان عالياً خلال الأشهر الأخيرة من العام الفائت وهو الخبير في الشأن التركي، والذي تم اختياره مع مهمة واضحة: ينبغي ضرب العلاقة بين روسيا وتركيا...

حصيلة الأشهر الستة تظهر جلية بخط السيل التركي وبصفقة S-400 وبتعظيم التبادل التجاري الروسي التركي الإيراني، وبالموقف الموحد لهما من العقوبات الأمريكية وبالعمل الجاد على تنشيط واستحداث آليات جديدة لإغلاق الباب أمام تأثير تلك العقوبات.

هذا كله بات واضحاً لدى المركز الأمريكي، ولم تعد مجدية محاولة تخريب أستانا، ولذا بات من الضروري الانتقال إلى إعلان المواجهة معها «وفي العمق، المواجهة مع التوازن الدولي الجديد الذي تعبر عنه»، وفي الملفات كافة، وبينها الملف السوري، وهنا جاء إعلان الجولان الذي يمثل خطوة متقدمة ضمن سيناريو «صفقة القرن» الذي يعني في عمقه: تمركز الولايات المتحدة على قاعدتين متبقيتين لها في المنطقة، إحداهما: هشة وقابلة للانفجار في أية لحظة، وهي الخليج. والثانية: أقل هشاشة ولكن أعلى تأزماً: الكيان الصهيوني.

بات واضحاً للمركز الأمريكي أن من الصعب تخريب أستانا وانتقل للاعتماد على قاعدتين الأولى الخليج الهش والثانية الكيان المأزوم

ضرورة استمرار الأزمة السورية

ولكن الشرط الأساسي لإنجاز إعادة التموضع هذه بنجاح، أي: بما يضمن بقاء هاتين القاعدتين منصتين للتخريب الإقليمي، وليس قاعدتين معزولتين محاصرتين، الشرط الأساسي، هو: استمرار الأزمة السورية، بل وتعميقها وصولاً إلى تفجير جديد إن أمكن.

وهذا الشرط الأخير يوضح الهدف من تعميق العقوبات المتصاعد، ومن التمسك بمنع أي تغيير في البنية القائمة التي يتحكم بها في نهاية المطاف فاسدون كبار لا يعنيهم سوى استمرار نهبهم ونفوذهم، وإنْ اتخذ شكل أمراء الحرب. في المقابل، فإنّ إعلان الجولان، ومجمل الخطوات الأمريكية الفاشلة تجاه أستانا، مترافقة مع انكفائها الاضطراري، خلق مساحات أوسع لتحقيق خطوات جدية تجاه الحل السياسي، أي: تجاه تنفيذ القرار 2254، وعبر المدخل الدستوري بالذات، وعض الأصابع الذي رافق الركود الذي نتحدث عنه، بات في أسابيعه الأخيرة، ومساحات المناورة التي كان يلعب ضمنها المتشددون باتت أضيق من أي وقت مضى...

المتشددون داخل النظام لم يعودوا قادرين على تغطية فسادهم ونهبهم وراء لواء المعركة، وبعد تشديد العقوبات بات فسادهم مفضوحاً بشكل أكبر أمام السوريين من جهة، وأمام حلفاء سورية من جهة ثانية. وعلى الضفة المقابلة فإنّ «المعارضة الطارئة» التي جرى تفصيلها على مقاس النموذج العراقي، باتت عارية أمام السوريين وأمام المجتمع الدولي نفسه، فكيف يمكن لها أن تستمر في وصف الأمريكان بأنهم «حليف»، أو حتى بأنهم «وسيط» في حل الأزمة السورية، وهم الذين يخرقون علناً ليس القرار 2254 فحسب، بل والسيادة السورية بأسرها، وبأكثر أشكالها مباشرة وبساطة، سيادة سورية والشعب السوري على أرض محتلة منذ 1967، ومحتلة بالذات من الكيان الصهيوني.

ضمن هذه الإحداثيات، بات من الضروري لعب الأوراق الأساسية والاحتياطية؛ أي: إنّ المطلوب من هيئة التفاوض اليوم أن تتحول إلى احتكار أمريكي- خليجي معاد لأستانا وظيفته تعطيل أية إمكانية لإحداث اختراق في جدار الأزمة بالمعنى السياسي مما يفتح الباب شكلياً لإنهاء القرار 2254 نفسه. ولكي يجري ذلك لا بدّ أن يجري تقديم بديل وهمي بالتوازي، عبر حوارات شكلية وتنازلات شكلية تحافظ على مواقع الغرب وركائزه ضمن البنية السورية، تلك الركائز التي عمادها قوى النهب والفساد الكبير.

بالمحصلة، يمكن القول: إنّ انفراجاً في المسار السياسي لتنفيذ 2254 بات قريباً، لأنّ كل محاولات التصعيد والتفجير والتخريب والإحراق الأمريكية يجري تطويقها وخنقها، ولذا بات من الضروري البحث عن مخرج التفافي يعيق الوصول إلى ذلك الانفراج، الذي وبمجرد أن يبدأ فإنّ حالة الركود الماضية، وحالات الركود التي سبقتها، ستتحول إلى ماضٍ بشكل كامل.

«الكيان الصهيوني» لن يبقى

لا يمكن فصل نشأة الكيان الصهيوني، عن مرحلة الأزمة الاقتصادية العالمية ثلاثينيات القرن الماضي، المرحلة التي شهدت صعود التيارات الفاشية في المراكز الرأسمالية، والتي ألحقت بالجنون العالمي في الحرب العالمية الثانية. إنّ «إسرائيل» هي إحدى «ابتكارات» أزمة الرأسمالية العالمية عندما تحتد وتترافق مع تطرف قوى رأس المال المالي الأكثر رجعية، كما الحركة الصهيونية العالمية...

■ ليلى نصر

ولكن، إذا ما كانت النشأة قد أتت بسياق النشاط الفاشي العالمي، فإن الزوال أيضاً سيأتي مع خمود هذا النشاط وإطفائه.

ظهر «الكيان الصهيوني» كقوّة فاشيّة جديدة عقب الحرب العالمية الثانية لتخدم مصالح المركز الرأسمالي بمهمّة محددة: توتير الأوضاع في منطقة «الشرق الأوسط»، منطقة المصالح الحيوية، وإدامة الصراع... ومع التغيّر في ميزان القوى العالمي بعد الحرب، ونشوة النصر التي امتدت لعقود في المركز الإمبريالي العالمي الجديد، أي: الولايات المتحدة، انتقلت عملية رعاية الكيان من لندن إلى واشنطن، وانتقلت «إسرائيل» لتصبح القوة العسكرية الأهم في المنطقة. ومع ذروة مرحلة التراجع الثوري العالمي، و«الميل نحو السلام» والتطبيع لدى «أنظمة الشرق الأوسط» منذ السبعينات، فإن المركز الغربي أخذ يحاول أن يُغيّر صورة «إسرائيل»، في المنطقة تحديداً، ليغطي طابع الثكنة العسكرية العدوانية، ويضع بالمقابل صورة الدولة الغربية الديمقراطية، التي يمكن لشعوبنا أن «تفصل جيشها عن قاطنيها، أولئك الذين يحبون الحمص والفلافل...»!

وقد كانت تلك المرحلة التي تمسك بها الغرب والولايات المتحدة تحديداً، بدور الوسيط الراعي، وبحل الدولتين، ولكن شكلياً. حيث استمرت دولة الكيان، وبحماية دولية، بممارسة دورها الوظيفي كاحتلال... واستمرت شعوب المنطقة ومقاومتها، بمقاومته، مانعة الأنظمة من التمادي المرغوب في ميلها التطبيعي.

ما بعد عام 2000

«إسرائيل» ضمن الفوضى الخلاقة

ولكن، السمت العام: أن الكيان الصهيوني بعد عام 2000، أصبح مضطراً لحساب الحرب ألف مرة قبل الإقدام عليها، ليس فقط خوفاً من هزيمته المباشرة، عسكرياً وسياسياً، بل لأن الراعي الأمريكي لديه مشروع أعمق في المنطقة، يتطلب دوراً محدداً «لإسرائيل».

فالولايات المتحدة التي كان مشروع الفوضى الخلاقة يتبلور لديها، لم تكن معنية بتصعيد عسكري تخسر فيه «إسرائيل»، وتنتصر فيه المقاومة في جنوب لبنان أو غزة. لأن هذا يعقد الهدف الأمريكي بتحويل سَمت الصراع في المنطقة إلى التناقضات الثنائية، التي كان الصراع المذهبي السني- الشيعي، أهم عناوينها. «فإسرائيل» كمعتد تهزمه قوى مقاومة منتصرة ومتعددة المذاهب، هي مسألة تتناقض تماماً مع هدف تأليب الصراع الديني في المنطقة، لذلك كان مطلوباً «تضييق الدور الإسرائيلي»، باتجاه الوصول للتطبيع معه.

واضطر الغرب، أن يكتفي باستخدام الكيان عسكرياً مرتين أساسيتين، في 2006، وفي 2009، ليحاول إنهاء سلاح المقاومة في لبنان، وإنهاء المقاومة المسلحة في غزة. وفي الحالتين فشل عسكرياً وسياسياً وعاد خطوات للوراء... واضطر للتركيز على التصعيد ضمن الأراضي المحتلة، بأدوات أساسية: تقسيم الصف الفلسطيني، وقطع التواصل الشعبي، عبر خنق فلسطينيّ غزة بالحصار، ومحاصرتهم في الضفة، بالتنسيق الأمني والرواتب والمساعدات العربية الآتية عبر الكيان وعبر السلطة، وعبر الهجوم والاغتيال الممنهج لنواة القوى الفلسطينية الجديدة التي تبشر بالبدائل السياسية. لقد كان يحاول الوصول إلى وضع أمر واقع، لا يسمح حتى لحل الدولتين بالولادة.

ولكنه، وإن نجح إلى حد بعيد في التحكم بأداء الفضاء السياسي الفلسطيني القديم، إلّا أنه لم ينجح أبداً في إطفاء الشعلة المتقدة في كفاح الشعب الفلسطينيّ، الذي لم يتوقف طوال الوقت عن إيقاد الساحة الفلسطينية، وفرض أمر واقع، بإثبات أنه رقم صعب، وأن التجويع والحصار لا يدخل في قاموس إرضاخه... ليبقى المقاوم المسلح، والشهيد هو رمزه المقدّس الحي دائماً.

أزمة الكيان مركبة ومنها أزمة رعاته في الولايات المتحدة وحلفائه من أنظمة المنطقة التي تتلمس على رأسها ولا تتجرأ على التمادي في تقديم الخدمات

مرحلة ما بعد 2019
«إسرائيل» دون أفق الفوضى

اليوم، ننتقل إلى مرحلة جديدة، في استخدام الكيان أمريكياً، ينسبها البعض للإدارة الأمريكية الحالية، أو لترامب، باعتباره صهيونياً أكثر من غيره... ولكن بالطبع المسألة ليست هنا، بل ترتبط بمصير مشروع الفوضى الخلاقة في المنطقة ككل، وتدفعنا إلى توسيع إطار التحليل.

إن المركز الإمبريالي في الولايات المتحدة، يتلمّس أن مشروع الفوضى الخلاقة، في منطقة «الشرق الأوسط» المعتمد على التناقضات المذهبية بالدرجة الأولى، والهادف إلى تفتيت الدول، كل الدول... قد وصل إلى نهاياته، ولم يعد قابلاً للاستخدام المتجدد، مع تغير ميزان القوى الدولي.

فبالعمق، شكّل الدخول الروسي عسكرياً ودبلوماسياً إلى المنطقة، منعطفاً سدّ الأفق المستدام لمشروع الفوضى:

فأولاً: تمت هزيمة داعش، أي: تم بتر أداة الاستخدام الفاشي، والذراع الضارب المتطرف المولّد للفوضى، والمفتّت للدول، أما ثانياً: وهو الأهم، إن ردة الفعل الدولية والإقليمية على مشروع الفوضى الخلاقة ولّدت أفقاً لمستقبل المنطقة، بل ساهمت برسم أفق للعلاقات الدولية الجديدة، وهو المتمثل وضوحاً بالتفاهمات: الروسية- التركية- الإيرانية. فتركيا وإيران «المذهبيتان» تلتقيان سياسياً على مشروع حماية المنطقة من الجنون الأمريكي، الذي حاول أن يطال الأتراك، ويحاول أن يطال الإيرانيين منذ عقود. فإذا ما كان الهدف الأمريكي هو إشعال المنطقة، فإن تفتيت تركيا وإيران، وبل والسعودية ومصر، هي الأهداف الكبرى ذات الوزن المؤثر، وانتقال طرفين أساسيين منها إلى التحالف والتفاهم، والوصول لتسويات تخدم الاستقرار، هو سدّ يقف في وجه مشروع توالد الفوضى واستمرارها.

وثالثاً: يأتي الدور الدبلوماسي الروسي، الذي يسعى ليكون الراعي الأساسي لأزمات المنطقة، والأهم: الأزمة السورية، والقضية الفلسطينية. مع ما يتطلبه هذا من جمع التناقضات، والتواصل مع كل الأطراف.

وكل ما سبق كان ضرورياً للعودة إلى الاستخدام الأمريكي للكيان الصهيوني، وسلوك ترامب الحالي... والمرحلة الجديدة. فالأفق المسدود لمشروع الفوضى الخلاقة، يتطلب أن يقدم الأمريكيون للكيان كل ما يستطيعون، وأن يفتحوا بالمقابل أفق استخدام وحشيته وتطرفه لإدامة الفوضى في المنطقة. ◄◄

بعض من جوانب «خطورة» أستانا!

يتجه التفكير صوب سورية مباشرة لدى أي ذكر لمسار أستانا، وهذا هو الأمر الطبيعي لأنّ مسار أستانا قد أنشئ رسمياً لتنسيق خطوات دول ثلاث ترى أن بينها مشتركات بحدود ما فيما يتعلق بالشأن السوري.

■ مهند دليقان

مضى الآن الوقت الذي كان المرء يحتاج فيه إلى تجميع الأدلة والإثباتات والقرائن والإشارات على أنّ علاقة ثلاثي أستانا أوسع وأكبر وأعمق من المسألة السورية؛ فقد بات الأمر واضحاً وضوحاً عالياً وملموساً، ورغم ذلك فإنّ بعض جوانب أهمية أستانا لا تزال بحاجة لدراسة لسبر أعماقها ومعرفة أبعادها.

فلننظر للخريطة

بدأنا بالقول: إن أستانا توجه النظر والتفكير صوب سورية، ولكن إذا نظرنا إلى الخريطة وأضفنا لهذه الدول الثلاث التنين الصيني سنجد لوحة مذهلة تبدو فيها الدول الأربع كطوق دائري يحيط بآسيا الوسطى بأكملها، ويشكل معها آسيا كلها تقريباً؛ سنجد ضمن هذا الطوق كلاً من: «الهند، باكستان، أفغانستان، طاجكستان، كازاخستان، قرغيزستان، أذربيجان، تركمانستان».

لا يحتاج المرء إلى ثقافة تاريخية احترافية حتى يضع فوق هذه الخريطة إشارات وعلامات الصراعات البينية بين هذه الدول جميعها ابتداءً بالرباعي نفسه؛ على الأقل يمكن التأكيد أنّه خلال السبعين سنة الماضية، أي: منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية تقريباً، لم يمرّ يوم واحد لم تكن فيه حالة العداء والتوتر والصراع قائمة بين كل دولتين متجاورتين من بين هذه الدول، وحتى الدول غير المتجاورة كانت بينها صراعات، وهذه الصراعات بمجملها هي التركة «الثمينة» لإمبراطورية شركة الهند الشرقية، وبصيغة أعم للاستعمار الأوروبي الذي احتل بشكل أو بآخر القسم الأعظم من هذه الدول، ورسم وأعاد رسم خرائطها مرة بعد أخرى، ليضمن وجود أكبر قدر من الألغام القابلة للانفجار مرة وراء مرة.

ربما تكون هذه هي المرة الأولى في التاريخ الحديث التي تنشأ فيها إمكانية نظرية وعملية لتطويق الخلافات والتوترات عبر الرباعي الذي أشرنا له، والذي باشر العمل فعلياً في حل جملة من الصراعات، منها على سبيل المثال لا الحصر: «الهند باكستان»، و«أفغانستان–باكستان» وداخل أفغانستان نفسها...

سنّي- شيعي

إحدى ثيمات الصراع البيني ضمن المنطقة، والتي لعب الغرب عليها خلال العقود الماضية، والأمريكان خاصة، هي الفالق السني الشيعي، على مستوى الدول وعلى المستوى الداخلي ضمن كل دولة على حدة. والتقارب الحاصل ضمن أستانا بين أكبر دولتين فيهما أكبر عدد نسبي من الشيعة والسنة، أي إيران وتركيا، أوقع ضرراً قاتلاً في هذا الفالق الذي بدأ بالغياب والاضمحلال بشكل متسارع حتى على مستوى الخطاب السياسي الضمني؛ إذ برز في عقول الناس وعلى نحو جليٍّ أنّ الصراع في مكان آخر كلياً، وعملية تنمية الأحقاد واختراع الأعداء الوهميين من شأنها أن تصل إلى نهايتها طال الأمر أم قصر.

وبكلمة، فإنّ أستانا بهذا المعنى، هي ضربة في الصميم لمخطط الفوضى الخلاقة، الذي لا ينبغي أن يفهم منه أنّه خطة يجري تطبيقها للوصول إلى حالة جديدة، بل هي بالضبط «أسلوب حياة»، أي: إنّ الغرب والأمريكان المأزومين بالمعنى التاريخي كإمبريالية، لم يعد أمامهم من طريقة للاستمرار إلا عبر فوضى مستمرة يقومون بإدارتها.

القضية الكردية

الفالق القومي بين شعوب المنطقة هو الآخر فالق جرى الاشتغال عليه طويلاً، ولعل أكثر أشكاله وضوحاً هو مظلومية الكرد المضاعفة، مظلوميتهم السياسية والاقتصادية الاجتماعية التي يعيشونها أسوة بإخوتهم من الشعوب الأخرى الخاضعة لأنظمة تابعة للغرب بشكل أو بآخر ويهيمن فيها فاسدون كبار ومتعهدو الاستيراد والتصدير غرباً، ومظلوميتهم القومية التي تأخذ أشكالاً ودرجات تختلف من دولة إلى أخرى من الدول الأربع التي يتوزعون ضمنها.

طوال السبعين سنة الماضية التي نتحدث عنها، لم تكن الحالة السائدة هي العداء والتوتر الدائم بين الأنظمة السياسية التي يعيش تحت عسفها الكرد، بل وكانت «الميزة» الإضافية أنّ حكام هذه الأنظمة يمكن أن يختلفوا في كل شيء، لكنهم دائماً ما يتفقون على قمع الكرد.

للمرة الأولى في التاريخ الحديث أيضاً، ينشأ الأساس الأولي الذي يمكن بتطويره حل القضية الكردية حلًا عادلاً ومتكاملاً، إضافة إلى الحلول الجزئية. نقصد بذلك أنّ تطور العلاقات ضمن أستانا إضافة إلى الصين، والعمل المشترك بين هذا الرباعي على نزع فتائل وألغام الغرب من المنطقة، سيسمح مع الوقت بتجاوز حالة العداء والتوتر البيني القائم في مجمل آسيا، وسيفتح الطريق لسيادة علاقات حسن الجوار والتعاون في حل المسائل المعلقة بصيغ تفرضها الضرورة الموضوعية للتطور، وهي الضرورة التي تعكس دائماً مصلحة الشعوب...

إذا نظرنا للخريطة وأضفنا التنين الصيني للدول الثلاث سنجد لوحة مذهلة لطوق دائري يحيط بآسيا الوسطى ويشمل مجمل آسيا تقريباً

السعي للصفقة قبل فوات الأوان

الأمريكيون يَجمعون اليوم، وقدر الإمكان، المكاسب التي حصّلوها في المنطقة خلال المراحل السابقة، محاولين عقد صفقة سريعة «صفقة القرن»، قبل أن تأخذ التغيرات الدولية أثرها أكثر، وتُضعف قدرة الأمريكيين على عقد الصفقات، وإلزام الأطراف بالموافقة عليها. فاليوم لا يزال الأمريكيون قادرين على فرض تسوية على الخليجيين، أو حتى على السلطة الفلسطينية، ليحاولوا تحصيل أفضل ما يمكن «لإسرائيل»... قبل المغادرة.

ومن هنا يأتي الاعتراف بالقدس عاصمة، ونقل السفارة إليها، ويأتي أيضاً الاعتراف «بالسيادة» على الجولان، وقد يأتي أيضاً ضم الضفة وغيره.

ولكن أيضاً لا بدَّ من ملاحظة دلالات تأخير الإعلان عن مضامين صفقة القرن، نتيجة للتعقيدات التي تواجه الأمريكيين، فهم حتى غير قادرين على إلزام السعودية والسلطة الفلسطينية، على الموافقة على كل ما يطلبونه. وهم نتيجة أزمتهم، واستعجالهم، يرفعون السقوف، ويطلبون ما لا قدرة لهذه الأنظمة والبنى السياسية على فعله. لأنّ أحداً من أنظمة المنطقة، لم يعد يأمن كرسيّه أو رأسه في موجة التغيرات الحاصلة.

ومن هنا لا يتبقى للأمريكيين إلّا العودة للتطرف «الإسرائيلي»، فإذا لم تكن الولايات المتحدة قادرة على تأمين أفضل وضع سياسي للكيان، لا بدَّ من استخدامه المباشر في الفوضى والحرب، إقليمياً. ولكن ثمن هذا قد يكون غالياً جداً، بل ثمنه سيكون الكيان بحد ذاته: عسكرياً وسياسياً بل وسكانياً، فربما لا يبقى في الكيان، من يرغب بالدفاع عنه في حرب كبيرة، هذا من ناحية. أمّا من ناحية أخرى: فإن إيقاد حرب إقليمية لم يعد مسألة أمريكية فقط، بل هو خاضع لتوازنات القوى الدولية، حيث إن حرباً من هذا النوع، هي انخراط مباشر للأطراف الدولية في ظل الردع النووي، الذي يلجم إيقاد الحروب الكبرى.

أزمات الكيان الصهيوني مركبة

إن الكيان الصهيوني، مأزوم، أزمات مركبة: أولاً: الأزمة الناجمة، عن أزمة راعيه الأمريكي وتراجعه الدولي. الأمر الذي يجعل الوجود والنشأة المشوّهة والدور الوظيفي للكيان، المرتبط عضوياً بالمدد الدولي، أمراً دون أفق.

والأزمة الناجمة عن الأفق الذي يُفتح في المنطقة: فحلفاؤه المعلنون والمبطنون ضمن أنظمة المنطقة في أزمة، وغير قادرين على التمادي في تقديم الخدمات، كما هو الحال مع الأنظمة الخليجية وحتى مع السلطة الفلسطينية.

واستقراره المعتمد على شرذمة المنطقة وتفتيت دولها، يواجه تفاهمات دولية وإقليمية تجمع التناقضات وترسم التسويات وتضع هدف الحفاظ على الدول وتطبيق القانون الدولي، كما هو الحال في الدور الروسي والتفاهمات مع الإيرانيين والأتراك.

ولدى الكيان الأزمة العميقة، المتمثلة بقدرة الشعب الفلسطيني على الخلق عبر الشهادة، الروح الكفاحية التي ستولد القوى السياسية الضرورية التي ترفع الأداء السياسي الفلسطيني إلى مستوى الكفاح الشعبي. والروح التي تشحذ شعوب المنطقة، وتجعل الموقف من الكيان واحداً من المحددات التي تحسبها الأنظمة المتعفنة، حفاظاً على رأسها من الغضب الشعبي الذي يتربص بكل الفضاء السياسي القديم.

«عيش وكيّف يا ختيار»

مما لا شك فيه أن المظلة التأمينية التي تقدمها مؤسسة التأمينات الاجتماعية بحاجة للتوسيع والتعميق، بالحد الأدنى بالشكل الذي يوفر ويؤمن غطاءً تأمينياً حقيقياً وعادلاً للمؤمن عليهم لديها من المواطنين، وخاصة أصحاب معاشات التقاعد والشيخوخة.

■ عاصي اسماعيل

فإذا كان أصحاب الأجور بشكل عام وهم على رأس عملهم، يعانون من مستويات الأجور المتدنية التي لا تغطي مصاريف أيام محدودة من الشهر، حيث وصل الحال بهم لمستويات معيشية أدنى من حدود ومعدلات الفقر والعوز، فكيف الحال بأصحاب معاشات التقاعد والشيخوخة؟.

20 ألف ليرة فقط

خبر صغير ومقتضب مرَّ مرور الكرام نهاية الشهر الماضي حول المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، في معرض الحديث عن دورها والوفاء بالتزاماتها وما تحظى به من اهتمام حكومي، وغيرها من التفصيلات الأخرى، وذلك حسب بعض وسائل الإعلام، يقول: «وصلت قيمة الالتزامات التي تسددها المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية شهرياً، لأكثر من نصف مليون صاحب معاش ومستحق، إلى نحو 10 مليارات ليرة سورية، وتمكنت بذلك من الوفاء بكامل التزاماتها تجاه المواطنين المؤمن عليهم والمتقاعدين والمستحقين في جميع المناطق».

ربما بداية لا بدَّ من القول: إن الوفاء بالالتزامات الكاملة من قبل المؤسسة تجاه المواطنين المؤمن عليهم لا يمكن أن يُساق ضمن إطار التغنّي أو التبجح، فهذه تعتبر من أبسط المهام المناطة بالمؤسسة، باعتبارها حقوقاً مصانة لهؤلاء، والمؤسسة مؤتمنة عليها كما على حسن تأديتها وفقاً للقانون.

لكن ما يعنينا من أمر، أنّ الترجمة العملية للمعطى الرقمي أعلاه هي أنّ متوسط ما يتقاضاه أصحاب المعاش المؤمن عليهم والمتقاعدين بحدود 20 ألف ليرة شهرياً لكل منهم فقط لا غير.

فماذا يعني هذا المبلغ المتواضع بالنسبة لهؤلاء؟

أقل من فاتورة العلاج الشهري

من المعروف أن غالبية أصحاب المعاش والمتقاعدين هم من المسنين، الذين أفنوا عمرهم جهداً وكدحاً بعملهم، والحد الأدنى لسني خدمة هؤلاء المؤمن عليهم هي 25 سنة، وتصل بحدها الأعلى أحياناً إلى أكثر من 40 سنة للبعض.

وبمقارنة متوسط المعاش التقاعدي أعلاه مع متطلبات وضرورات هؤلاء المسنين، ربّما ليس من الصعب التكهن والاستنتاج أنه بالكاد يمكن أن يغطي فاتورة الطبابة والعلاج والاستشفاء لهم كأفراد فقط، دوناً عن بقية أفراد أسرهم، ودوناً عن كل كتلة الإنفاق على ضرورات المعيشة والحياة الأخرى.

فهذه الشريحة التي أفنت عمرها بالعمل خرجت منه للتقاعد أخيراً، وهي تحمل ما يتركه السن من آثار سلبية على الصحة بالشكل الطبيعي، فغالبية هؤلاء يعانون من أمراض الضغط والسكر والمفاصل وترقق العظام وضعف البصر، وغيرها من أمراض الشيخوخة الطبيعية، والبعض منهم يعاني بالإضافة إلى ذلك من آفات مرضية أكبر وأعمق، مثل: أمراض القلب والشرايين والقصور الكلوي وغيرها، بالإضافة إلى ما يمكن أن يكونوا قد حصدوه صحياً من أمراض مرتبطة بمهنة كل منهم وظروفها وطبيعتها، مثل: أمراض الصدر والرئتين والعمود الفقري وغيرها من الأمراض والآفات المهنية، وربما أخيراً، قلة يعانون من الأورام والسرطانات وأمراض المناعة المزمنة، مع عدم إغفال أمراض اللثة والأسنان والاضطرار للتعويضات السنية بهذا العمر.

ولا شك أن كل هذه الأمراض، أو بعضها بالحد الأدنى، فاتورة علاجها الشهري تعتبر كبيرة بشكل عام، فكيف بالنسبة لهذه الشريحة، وفي ظل متوسط الأجر التقاعدي المتواضع المحسوب أعلاه؟.

كرامة الشيخوخة مفقودة

هذه الشريحة الاجتماعية الكبيرة- نصف مليون متقاعد ليس بالرقم القليل- قد نابها الظلم عدة مرات وبعدة مستويات.

بداية من مستوى المعيشة المتدني قبل التقاعد، والإحالة على المعاش، بسبب تدني الأجور عموماً، وعدم توافقها مع متطلبات الحياة وضروراتها، فالفقر وشظف العيش كان محور حياة هذه الشريحة مع أفراد أسرها، بالإضافة إلى كدحها وتعبها، وصولاً لما تعانيه من أمراض مزمنة كما سلف أعلاه بعد أن أصبحت متقاعدة، لتستكمل بقية عمرها في شظف العيش والفقر المترافق مع الأمراض أيضاً.

علماً أنّ هذه الشريحة التزمت بتسديد ما عليها من التزامات مالية تجاه مؤسسة التأمينات الاجتماعية، بالإضافة إلى حصة ربّ العمل المسددة أيضاً وفقاً للقانون، على شكل اقتطاعات من الأجور الشهرية طيلة سني خدماتها الطويلة المؤمن عليها، والنتيجة، أنها لم تلق الهدف المطلوب على مستوى ضمان الحد الأدنى من كرامة الشيخوخة التي من المفترض أن تؤمنها المظلة التأمينية، لا على مستوى متطلبات المعيشة، ولا حتى على مستوى التغطية الصحية!.

مبلغ الـ20 ألف ليرة لا يصلح لاعتباره بدل تعطل وبطالة في هذه الظروف القاسية! فكيف يمكن اعتباره معاشاً تقاعدياً بعد سني الخدمة الطويلة؟

مكافأة نهاية العمر المغصوب

إذا كان العاملون بأجر وهم على رأس عملهم قد أصبحوا مفقرين ومعوزين، بهذا الواقع الاقتصادي السيء وبهذه الظروف المعيشية الصعبة، وبهذا النمط السائد من التعامل مع الأجور عبر السياسات المتبعة، والدلائل تشير إلى أنّ واقع التردي المعيشي مستمر، دافعاً نحو المزيد من الفقر والجوع للغالبية الساحقة من الشعب، بسبب جملة السياسات المتبعة، فكيف الحال بهؤلاء المتقاعدين في سني عمرهم الأخيرة؟

فنصف مليون «ختيار وختيارة»، قدموا جهدهم وعرقهم وتعبهم حسب قطاعات عمل كل منهم وهم بقوتهم وعافيتهم، أصبحوا متقاعدين وفي أضعف حال، وباتوا يُدفعون دفعاً نحو القبور، إن توفرت لهم أصلاً، مرضاً وعوزاً وجوعاً.

من المسؤول عن حفظ كرامة هؤلاء جميعاً؟ فمبلغ الـ20 ألف ليرة لا يصلح لاعتباره بدل تعطل وبطالة في هذه الظروف القاسية! فكيف يمكن اعتباره معاشاً تقاعدياً بعد سني الخدمة الطويلة؟ وهل هذه النتيجة هي مكافأة ما تبقى من أعمار مستهلكة ومستنزفة لهذه الشريحة استغلالاً وغصباً؟.

المظلة التأمينية والأجور

المظلة التأمينية التي تقدمها مؤسسة التأمينات الاجتماعية تعتبر أحد أشكال الحماية والأمن الاجتماعي ذي الطبيعة التكافلية، كون الاقتطاعات الشهرية المسددة في حساباتها تعتبر مساهمة من المؤمن عليهم ومن أرباب العمل، خاص أو عام، يُضاف إلى ذلك الريع الاستثماري من المشروعات والاستثمارات التي تقوم بها المؤسسة بحسب ما أتاح لها القانون، وربما تقتضي الضرورة أن يتمّ توسيع تغطية هذه المظلة لتشمل تغطيات إضافية غير المعاش التقاعدي وإصابات العمل، وخاصة لأصحاب معاشات الشيخوخة والتقاعد، وذلك على مستوى التأمين الصحي لهؤلاء أيضاً، باعتبار أن غالبية أصحاب المعاشات غير مؤمن عليهم صحياً، وهم بأمسّ الحاجة إلى هذا النوع من التغطية.

النقطة الأهم، هي: ضرورة زيادة الأجور وإخراجها من ثلاجة السياسات الحكومية المتبعة، وربطها بمقومات الحياة المتطورة وبضرورات المعيشة مع متغيراتها، وبما يحافظ على كرامة كافة أصحاب الأجور، وبالتالي أصحاب المعاشات التقاعدية، كون معاشاتهم التقاعدية المحسوبة ضمن المظلة التأمينية للمؤسسة مرتبطة بالسياسة العامة للأجور قانوناً.

الأشد أسفاً وظلماً وألماً بالنسبة لهذه الشريحة، هو: ما درجت عليه العادة في التعامل مع الزيادات التي تطرأ على الأجور، حيث تمنح نسبة زيادة أقل عن غيرها من شرائح العاملين على رأس عملهم، علماً أن واقع الحال يقول: إن ضرورات إنفاقها على الطبابة والعلاج فقط لا تتناسب مع هذه النسب، فكيف بالنسبة لبقية الضرورات المعيشية؟.

فهل من الممكن تحقيق ذلك، أم ستكون النتيجة حسب المقولة: «صرخة في واد؛ إن ذهبت اليوم مع الريح، لقد تذهب غداً بالأوتاد»!؟.

ريف دير الزور الشرقي.. معاناة ومطالب

يعتبر الريف الشرقي في محافظة دير الزور مركزاً للتجمع السكاني، وللإنتاج الزراعي والحيواني، بسبب مساحته الواسعة حيث يصل امتداده حوالي 150 كم طولاً حتى الحدود العراقية، ونتيجة الأزمة والحرب غادره غالبية سكانه، إلى المحافظات السورية الأخرى وإلى تركيا، وقسم قليل إلى العراق.

■ مراسل قاسيون

وقد تعرضت حقول النفط والغاز، ومضخات الري الزراعي، ومحطات مياه الشرب وشبكات الكهرباء ومؤسسات ودوائر الدولة، بل وحتى الآثار التاريخية والثروة الحيوانية للنهب والتهريب إلى تركيا والعراق، من قبل المجموعات المسلحة، كما تعرضت قنوات الري الزراعي للتفجير والدمار من قبل المسلحين أيضاً، وكذلك للخراب نتيجة العمليات العسكرية والقتالية.

معيقات العودة والاستقرار

وبعد تحرير الريف الشرقي من التنظيم الفاشي داعش، تعرضت منازل المواطنين وما تبقى في دوائر الدولة للنهب والتعفيش العلني دون حسيب أو رقيب، بل وبحماية قوى النهب والفساد، ورغم عودة قسم من أهالي وسكان الريف إلى قراهم وبلداتهم، لكن ما زالت المعاملة التي يتلقاها العائدون تقض مضجعهم، وتمنع أو تعيق عودة البقية من أبناء الريف الشرقي وأسرهم، ومنها: المعاملة من الحواجز على الطرقات، وأولها: الابتزاز وفرض الإتاوات على كل فرد وعلى الحيوانات، وعلى ما يمكن أن يحملوه من أثاث منزلي، وعلى بعض المنتجات الزراعية والحيوانية التي لابدّ لهم من نقلها لبيعها في مراكز المدن، وعلى السيارات، تحت مسمى «الترسيم» وهذه الممارسات والإتاوات تعيق عودة الأهالي إلى منازلهم وأراضيهم الزراعية ليتخلصوا من أعباء التهجير، وليعيدوا إنتاج الحياة لهم ولمدنهم وبلداتهم وقراهم.

شكاوى متعددة

وصلت إلى قاسيون شكاوى متعددة من العديد من أبناء الريف الشرقي في دير الزور، تؤكد على العديد من المطالب، لتسهيل عودتهم، وأهمها:

تأمين وتسهيل عودة أبناء الريف الشرقي بما يكفل أمنهم وسلامتهم وكرامتهم، لأن غالبيتهم كانوا ضحايا هيمنة التنظيمات المسلحة والفاشية، وليس اعتبارهم متهمين.

منع الإتاوات والغرامات التي تفرض عليهم علناً، ومحاسبة المسؤولين عنها، لأنها ليس مرهقة لهم فقط، بل تؤدي إلى رفع التكاليف على المواطن المستهلك.

إصلاح قنوات الري الزراعي، وخنادق الصرف، وتركيب مضخات الرفع من نهر الفرات لعودة الإنتاج الزراعي لتأمين معيشتهم وتنمية وإحياء اقتصاد المنطقة القائم على الزراعة، وتقديم الثروة الحيوانية ومستلزماتها، مجاناً أو بأسعار مخفضة وقروض طويلة الأجل، وبعضهم من مدينة القورية المعروفة بزراعة الخضار وخزاناً لها، ليس لمحافظة دير الزور فقط، وإنما للمحافظات الأخرى، طالبوا بتقديم مستلزمات الري الحديث، لتوفير المياه والتكاليف، ومنع تملّح الأرض نتيجة أساليب الري القديمة، وهو ما يوفر التكاليف على الفلاحين، ويزيد الإنتاج، ويرفد اقتصاد الوطن، ويوفر المليارات من إعادة استصلاح الأراضي. حيث كانت القورية قبل الأزمة تصدر يومياً حوالي 150 طناً من الخضار والمشتقات الحيوانية.

إعادة تأهيل البنى الخدمية التحتية من كهرباء وماء وصرف صحي ومنشآت تعليمية وغيرها.

لا شكَّ أن هذه المطالب لأهالي الريف الشرقي محقة، وهي واجب على الحكومة والجهات المسؤولة، وتحقيقها وتوفيرها ليس صعباً إذا توفرت الإرادة والقرار والتنفيذ الحقيقي، بدل أن تصرف المليارات على الأمور الشكلية، كتجهيز الدوارات في المدينة وقرى ومدن وبلدات الريف، بتكاليف وأرقام كبيرة لا تتناسب مع واقعها، والتي يذهب قسم كبير من أموالها نهباً وفساداً، كما أن تحقيق هذه المطالب يُسرع بعودة الأهالي، ويعيد الحياة وإنتاج الحياة في المنطقة.

فيسبوكيات

نفتتح فيسبوكيات هذا الأسبوع ببوست متداول حول وقع أزمة المشتقات النفطية، يقول:

«كنا نعبي بنزين لنروح سيران.. صرنا نروح سيران لنعبي بنزين»!

حول خبر تكليف وزارات «الزراعة والتموين والصناعة والتجارة الخارجية بالإضافة إلى اتحاد الفلاحين» بشأن محاصيل العنب والتفاح والحمضيات على مستوى تكاليف الإنتاج والسعر الاسترشادي علق بعض المواطنين بالتالي:

«لله يستر .. ما حدا رح ياكل السنة لا عنب ولا تفاح».

«شو منشان الزيتون.. الزيت مهم كمان».

حول خبر إصدار مصرف التسليف الشعبي التعليمات التنفيذية لقرض شراء السخان الشمسي المُصنع محلياً، علق بعض المواطنين بما يلي:

«أول شي البيت بعدين السخان».

«قريبا.. قرض الدراجة الكهربائية».

وحول طلب الحكومة من وزارة التموين تفعيل دور هيئة المنافسة وجمعية حماية المستهلك، علق بعض المواطنين بما يلي:

«كلام إعلامي جميل هههههه».

«رح يضل الاحتكار مزال الفساد موجود عند التجار».

خبر على صفحة الحكومة حول إنجاز وزارة التنمية الإدارية الجزء الأهم من مشروع قانون الخدمة العامة، واعتمدت نظام المراتب الوظيفية.. وقد علق بعض المواطنين على الصفحة بالتالي:

«باعتبار الرواتب والأجور لا تتناسب مع استهلاك الموظف فلا تستطيع أية خطه لاخراجنا من دائرة الفساد وبالتالي الخراب..»

«بنفهم من هالحكي يارضى الله ورضى المدير».

خبر من صفحة الحكومة أيضاً حول تكليف وزارة الاتصالات بإعداد مذكرة عن الخدمات التي تقدمها والعوائد والإيرادات...» وقد علق أحد المواطنين بما يلي:

«وبالمرة خليهن يكتبولكن بالمذكرة كم ألف مرّة الحوت عض الكبل البحري وقطعلنا النت..»

ونختم ببوست شخصي حول الخبر الذي يقول: «دحض وزير النفط ما تناولته بعض المواقع الإلكترونية حول ارتفاع أسعار المحروقات، مؤكداً أنها مجرد شائعات.. من غير المنطقي أن يكون الدعم موجهاً للمستهلك الأكبر، مبيناً أن وسط استهلاك السيارات من 1600cc نحو 120 ليتراً شهرياً، وهي الكمية التي تستحق الدعم، وسوف تباع بالسعر المدعوم، أما الكميات الإضافية فستباع بسعر التكلفة..»!!

حيث قال البوست:

رجاء ما حدا ينشر إشاعات لأنها خطيرة.. «دحض» الوزير كتير واضح.. ح يصير في سعرين للبنزين بشكل رسمي، واحد سعر مدعوم والتاني سعر حر.. والكمية المخصصة للسيارات ح تصير بحدود النص بالسعر المدعوم والبقية بالسعر الحر.. بس ما حدا يقول أنو هاد رفع لسعر البنزين ويروج إشاعات بلا طعمة، ولا حدا يستنتج أنو رفع السعر ح يأثر ع أسعار كل البضائع والسلع والخدمات بالسوق..!! بس سؤال فضولي: إذا كانت النتيجة مع «دحض الإشاعات» هيك.. كيف بلا «دحض»؟!

أزمة المشتقات النفطية على حساب المواطن

رغم كل الحديث الرسمي عن حلحلة وضع المحروقات وفقاً لبعض الإجراءات المتخذة من قبل وزارة النفط وشركة محروقات، إلّا أن واقع الحال يؤكد أن المشكلة لم تحل بعد بدليل تزايد الازدحام على الكازيات، والطوابير الطويلة التي تستغرق ساعات انتظار مديدة.

■ عادل ابراهيم

مشهد الازدحام على الكازيات أصبح مضرب مثل وتهكُّم، والمشكلة لم يعد يجدي معها الحديث عن أنها مجرد «اختناقات» بسبب بعض الترويج الإعلامي الخاطئ، خاصة بعد أن تم تخفيض الكميات المخصصة للتعبئة اليومية من أجل التخفيف من الازدحام كإجراء احترازي، ولم يخفَّ هذا الازدحام بل تزايد.

الانفراج خلال أيام قليلة!

الإعلان الأخير من قبل وزارة النفط حول مشكلة المحروقات كان عبر صفحة الوزارة الرسمية على «فيسبوك» حيث ذكرت أن الانفراجات ستبدأ خلال الأيام القليلة القادمة، مشيرة إلى العقوبات الاقتصادية المفروضة على سورية، والتي تمنع وصول ناقلات النفط إليها.

وكان قد سبق هذا الإعلان خبر تم تداوله منسوباً إلى «مصدر مسؤول» في الوزارة عبر إحدى محطات التلفزة المحلية يقول: «إن ما حصل من ازدحام خلال اليومين الماضيين مؤقت وسيتم لحظ الانفراج قريباً جداً»، وبأنّ: «القرار الأخير الذي تم اتخاذه والمتضمن تخفيض كمية التعبئة اليومية للسيارات البنزين من 40 لتر إلى 20 لتر هو إجراء احترازي ومؤقت ريثما يتم تخفيف الازدحام الحاصل حالياً»، كاشفاً: «عن قيام الوزارة حالياً بإبرام عقود سريعة التنفيذ لتأمين كميات أكبر من المشتقات النفطية «مازوت وبنزين» لتلبية الاحتياجات المحلية للمواطنين».

على حساب المواطنين

مشكلة «الاختناقات» على المشتقات النفطية كان انعكاسها المباشر على المواطنين سلبياً على عدة محاور:

الأول: هو زيادة الازدحام على وسائل النقل والمواصلات، حيث خرجت العديد من وسائل المواصلات عن الخدمة، أولاً: بسبب ساعات الانتظار الطويلة على الكازيات، وثانياً: بسبب تخفيض كمية مخصصات التعبئة اليومية.

الثاني: هو تقاضي أجور زائدة على خدمة النقل، وخاصة من قبل التكاسي، وذلك للأسباب أعلاه، واستغلالاً لحاجة المواطنين واضطرارهم تحت ضغط الضرورة للاستعانة بالتكاسي كبديل عن السرافيس.

الثالث: والأهم ربما، أيضاً فوق كل ذلك أن بعض الأسعار في السوق بدأت تشهد بعض الارتفاعات بذريعة أجور نقل البضائع، التي زادت كنتيجة لمشكلة المشتقات النفطية.

الرابع: وليس الأخير، أنه لا يخفى على أحد أن الأزمة الحالية كانت فرصة إضافية بالنسبة للسوق السوداء والقائمين عليها والمستفيدين منها من الفاسدين وتجار الأزمة، حيث ما زالت المشتقات متوفرة بهذه السوق، لكن أصبح سعرها مرتفعاً أكثر، وذلك مزيد من الاستغلال تحت ضغط الحاجة.

والنتيجة من كل ذلك: أنّ المواطن وحده هو من دفع ضريبة أزمة المشتقات النفطية، سواء على مستوى المزيد من التعب والإرهاق المرافق للتزاحم والازدحام على خطوط المواصلات، أو على مستوى هدر المزيد من الوقت بنتيجة ذلك، بالإضافة لما تَكبدّه من نفقات إضافية ذات طابع استغلالي بسبب الأزمة.

الرقة.. تسوية أوضاع الجامعيين مطلب

توجه بعض طلاب جامعة الفرات من أبناء مدينة الرقة إلى «قاسيون» لمساندتهم في مطلبهم المحق، حول مناشدة وزارة التعليم العالي، من أجل إصدار قرار جديد يقضي بتسوية وضعهم من أجل استكمال دراستهم الجامعية.

■ مراسل قاسيون

ربما من المعروف ما عاناه هؤلاء الطلاب مع ذويهم في محافظة الرقة، فقد أغلقت الجامعات والمدارس أبوابها في المحافظة بشكل كامل منذ أن اجتاحها التنظيم الفاشي «داعش» في الشهر الثالث من عام 2013، ومنع أي طالب يحاول الوصول إلى المحافظات الثانية لمواصلة دراسته، ومن يتم إمساكه وهو يقوم بالتدريس يعاقب بالإعدام، وكذلك طلاب الجامعة، وقلة هم الذين استطاعوا الهروب مخاطرين بحياتهم، وقد استمر هذا الوضع حتى نهاية عام 2017 حينما دحر التنظيم الإرهابي.

مدة التسوية انتهت

في الشهر السادس عام 2018 أصدرت وزارة التعليم العالي قراراً يتم بموجبه تسوية أوضاع طلاب الجامعة والتحاقهم بالجامعات، وكان لهذا القرار مدة زمنية محددة، والتي بموجبها التحق الكثير من الطلبة، وانتهت هذه المدة، إلا أن هناك قسماً لا بأس به من هؤلاء الطلاب لم تسمح لهم ظروفهم الخاصة، المادية والمعيشية وغيرها، من تسوية أوضاعهم خلال هذه المدة.

الآن، وبعد أن توفرت لهؤلاء بعض الظروف المساعدة لاستكمال تعليمهم الجامعي، لجأوا إلى جامعة الفرات من أجل تسوية أوضاعهم والعودة للدراسة، وكانت الردود من إدارة الجامعة بأن مدة التسوية بموجب القرار الصادر قد انتهت، وعليهم الانتظار ريثما يصدر قرار جديد بإعادة تسوية أوضاع من تبقى بسبب ظروفه الخاصة.

مناشدة ومطلب محق

هؤلاء الطلاب يناشدون وزارة التعليم العالي بالعمل على تسوية أوضاعهم الدراسية، وعدم تفويت الفرصة عليهم لاستكمال دراستهم، حتى لا يصبحوا في الشارع دون عمل أو دراسة، وينخرطوا في طابور البطالة، التي تعتبر أمّ الرذائل، وذلك من خلال إصدار قرار جديد يقضي بتسوية وضعهم، آخذاً بعين الاعتبار الظروف الخاصة التي مرّوا بها وعانوا منها.

«قاسيون» بدورها تنقل هموم ومعاناة هؤلاء الطلاب، مؤكدة على أن مطلبهم بالعودة للدراسة واستكمال تحصيلهم العلمي الجامعي يعتبر مطلباً محقاً، خاصة وأن الكثير من ظروف الانقطاع عن استكمال التحصيل العلمي لا ذنب لهم بها كما سلف أعلاه، ومن الضروري إصدار القرار الجديد المطلوب من أجل تسوية أوضاعهم لاستكمال دراستهم الجامعية.

برسم وزارة التعليم العالي.

أهالي بلدات الغوطة.. طال الانتظار

ما زال أهالي الغوطة الشرقية ينتظرون بفارغ الصبر استكمال فتح كافة الطرقات المؤدية إلى بلداتهم، وفيما بينها، بشكل رسمي ونهائي، مع الإسراع باستكمال إعادة تأهيل الشوارع والطرقات، الرئيسة والفرعية، وإزالة الركام والأنقاض منها ومن داخل البلدات، كي يتسنى لهم فعلاً العودة إلى منازلهم وترميمها بعد رحلة النزوح القاسية التي ما زالوا يعانون منها.

■ مراسل قاسيون

هؤلاء أرهقوا من دفع بدلات الإيجار طيلة السنوات الماضية، وهم بانتظار الانتهاء من بعض الإجراءات المتبعة والكيفية أحياناً، حيث ما زالت بعض البلدات والقرى وكأنها شبه مغلقة، وذلك بحسب الجهة المسؤولة عن كل بلدة ومنطقة وطريق، حيث لا يمكن اعتبار هذه الإجراءات إلّا شكلاً من أشكال العرقلة والعقبات التي تمنع الأهالي من العودة، وإعادة النشاط الاقتصادي إلى هذه القرى، علماً أنهُ لا سبب جدّياً ومقنعاً فيها.

قيود وتعقيدات

الدخول إلى بلدات الغوطة فيه الكثير من القيود، فمن يريد الدخول عليه أن يترك بطاقته الشخصية على مدخل البلدة المعنية، وبأحسن الأحوال أخذ رقم دخول من أجل الخروج اللاحق منها بعد تسجيله، ومن يريد الانتقال من بلدة معينة لا بدّ من أن يحصل على إذن خروج موقع من مختار البلدة ومن الجهة الأمنية المتواجدة في البلدة، ومن يريد العودة للاستقرار في بيته لا بدّ من أن يحصل على ورقة غير محكوم وسند إقامة من المختار ووثيقة تؤكد إقامته مع أسرته، والمشهد على أبواب كل بلدة من بلدات الغوطة، وبرغم عدم الازدحام، يكاد يكون وكأنها مناطق حدودية لا مجرد تنقل داخل البلد الواحد.

الطرقات إلى بلدات الغوطة وبداخلها تحتاج إلى إعادة تأهيل بالكامل، فالمرور في هذه الشوارع أصبح يشبه التنقل بين الجبال بسبب الحفر والركام المتراكم، والشوارع المليئة بالغبار، وهو ما يسبب أعطالاً للسيارات وصعوبة بالسير على الأقدام، عدا عن استمرار وجود الكثير من الحواجز بين البلدات، وهو ما يُعقد الوضع ويُسبب الازدحام أحياناً.

يُضاف إلى ذلك التعقيدات التي تفرض على من يريد العودة وافتتاح محل تجاري أو حرفي أو مهني في إحدى البلدات، حيث يطلب منه الحصول على إذن أمني خاص للسماح بذلك، بما في ذلك ما تقتضيه ضرورات هذا النشاط الاقتصادي على مستوى إدخال البضائع أو مستلزمات العمل وغيرها، حيث أصبحت هذه الموافقات فرصة للاستغلال والتكسب وفرض الإتاوات من قبل البعض أحياناً، مع تكرار هذه العملية كل فترة.

الأهالي يتساءلون

طال انتظار الاستقرار الحقيقي واستعادة النشاط لاقتصادي الاجتماعي في بلدات الغوطة الشرقية بعيداً عن المنغصات والعقبات والعراقيل، والسؤال على ألسنة الأهالي، بعد سنة من عودة سلطة الدولة إلى هذه المناطق: ما الذي يؤخر إعادة فتح بلدات الغوطة، وإعادة الخدمات اليها بشكل كامل ونهائي، بحيث تستعاد الحياة إلى هذه المناطق، بما يساهم في إعادة الأهالي إليها وتخفيض مستوى الاحتقان لديهم؟.

ولماذا ما زالت هذه البلدات وكأنها تحت الوصاية من قبل بعض الجهات المتنفذة والمستفيدين منها، على حساب الدور الحقيقي لمؤسسات الدولة وسلطاتها في بعض الأحيان؟

قاطنو المخيمات... مسألة إنسانية وسياسية!

بعد مخيم الركبان، يأتي مخيم الهول ليتصدر بيانات البؤس السورية، فالمخيم الذي يموت فيه العشرات خلال أسابيع، بفعل عوامل الطقس، والجوع، والمرض.... يتحول إلى نقطة تركيز سياسية، يجب أن توضع في إطار الحل، لأن أوضاعه لا ترتبط فقط بالمأساة الإنسانية لقاطنيه، بل أيضاً بفكرة تحويل بؤس المخيمات إلى بؤرة تطرف.

■ أحمد محمد

تم تشييد مخيم الهول في محافظة الحسكة في عام 1991، أثناء حرب الخليج، ليضم في حينه 15 ألف لاجئ عراقي، كما تتداول وسائل الإعلام. حيث أعيد فتحه في عام 2003، مع الاجتياح الأمريكي للعراق، وتجدد قاطنوه مع امتداد إرهاب داعش بين سورية والعراق. وخلال عشرين عاماً من بؤس اللجوء، وعدم الاستقرار، فإن التطرف هو النتيجة الطبيعية.

ارتفع عدد النازحين إلى المخيم، مع المعارك الأخيرة في شرق نهر الفرات، في منطقة الباغوز في دير الزور ليصل عدد نازحيه إلى 56 ألفاً... وخلال انتقال النازحين من الباغوز إلى الهول، توفي 90 شخصاً!

مصادر عراقية تتحدث عن وجود عوائل وعناصر التنظيم بين لاجئي المخيم، الذي يقع تحت سيطرة الإدارة الذاتية، وتتحدث عن تحوله إلى مقر لتنسيق التحركات. كما يتم الحديث عن إعادة عائلات عراقية إلى العراق بالتنسيق مع الحكومة العراقية، وحوالي 31 ألف عراقي.

الأمم المتحدة تواجه اتهامات من إدارة المخيم، بالتقصير، ويتم بالقطارة إرسال ملايين الدولارات لعيادات متنقلة أو مساعدات لعشرات آلاف النازحين العراقيين والسوريين المتواجدين في المخيم قديماً أو حديثاً. ولكن ملف المخيم يرتبط بعدة ملفات أخرى: عناصر وعوائل داعش، وإعادتهم إلى بلادهم ومصيرهم، بل بالعمليات السياسية الضرورية لتصفية ظاهرة مخيمات البؤس التي تولد التطرف.

هذه العملية تسير في مخيم الركبان، إذ تلجأ أطراف دولية، وفي مقدمتها روسيا، إلى حل وضع هذه المخيمات الإشكالية، فالركبان في الأردن، الذي تعيق قوات التحالف الدولي التي لا تزال تتمركز في التنف خروج النازحين منه، وتطالب باستمراره، واستمرار إرسال المساعدات إليه. بينما تستمر العمليات الدبلوماسية، لتصل إلى تصريحات من التحالف الدولي بعدم إعاقة خروج 40 ألف سوري نازح منه، بعد جملة لقاءات مع الأمم المتحدة في المخيم.

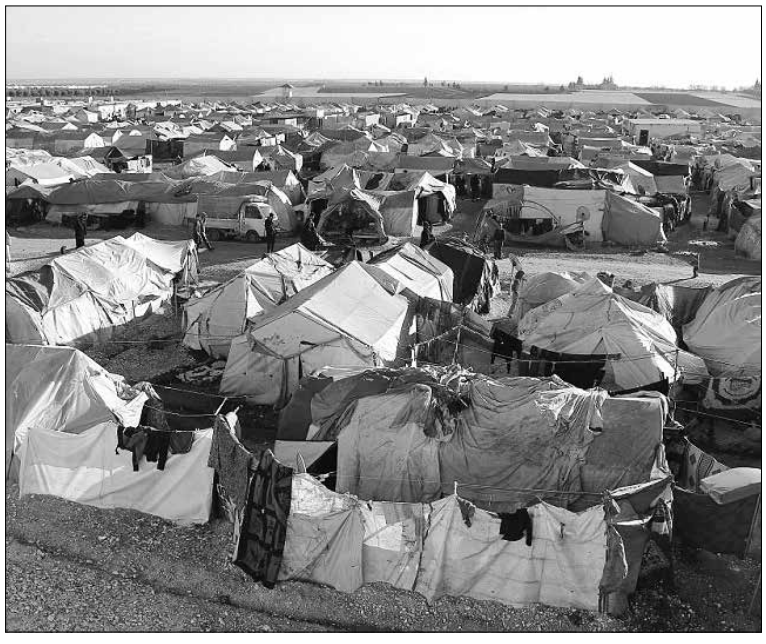

عدا عن الركبان والهول، فإن مخيمات كبرى ناجمة عن الأزمة السورية، ينبغي الوصول إلى تفكيكها، وعدم استدامة الوضع البائس للنازحين فيها، فهنالك اليوم 275 ألف لاجئ سوري في مخيمات تركيا، و126 ألف في مخيمات الأردن، والعديدون في تجمعات متفرقة في لبنان. هذا عدا عن السوريين المتجمعين في مخيمات وتجمعات نزوح في مناطق مثل إدلب، وفي ظروف شديدة السوء. إنّ حل وضع هؤلاء هو واحدة من الأولويات الإنسانية والسياسية في الأزمة السورية، حيث يمكن دائماً استخدام بؤسهم لإعادة تغذية التطرف.

شهد الأسبوع الماضي تصاعداً حادّاً في أزمة المحروقات عنوانها البنزين... كما دخل الخلاف حول الدور المصري من عدمه في منم وصول المحروقات، الحكومة كعادتها استمرت بإطلاق تصريحات، حول قرب انتهاء الأزمة، وحول التعقيدات، والآجال الزمنية، دون أن يعير أحد اهتماماً جدياً لدقتها من عدمها، فالجميع اكتسب خبرة هامشية التصريحات الحكومية.

العقوبات مجدداً
لماذا لا نشتري سفننا المستقلة؟!

لكن سؤالاً يدور بين الجميع، حول عدم طرح حل واسع ونوعي، سياسي واقتصادي لمواجهة أزمة الطاقة، ومن ورائها العقوبات!

■ عشتار محمود

فروع مصرفية رسمية مستقلة

إذا ما فكرت بالعقوبات بشكل مُبَسَّط، فإن الأمريكيين يستطيعون ملاحقة النفط أو البضائع الواصلة إلى سورية، ومعاقبة المساهمين في إيصالها بطريقتين. الأولى: منظومة الدفع المصرفية، التي تنقل من حساب لآخر وبالدولار أو اليورو معطية البيانات المتعلقة بالعملية، ومنظومة التأمين كذلك الأمر التي ترتبط بعملية التأمين على الشحن والنقل... إضافة إلى سفن الشحن.

وعملياً تستطيع الولايات المتحدة عبر منظومة سويفت لبيانات أغلب المصارف العالمية، أن تلتقط غالباً حركة الدولار هذه، وتعاقب البنك المعني الذي جرى التحويل من خلاله، لتمتنع البنوك عن القيام بهذه المخاطرة، أو تقوم بعملية ابتزاز ليُطالب بتكاليف خدمات عالية مقابل المخاطر المرتفعة.

لذلك فلا يمكن تجاوز العقوبات جدياً، إلّا بمنظومة مصرفية مستقلة، والدفع خارج إطار المصارف التقليدية، وإنشاء حسابات رسمية غير معلنة في فروع بنوك رسمية، تستطيع أن تستقبل ليس فقط العمليات الحكومية، بل تبادلات القطاع الخاص. وهو الأمر الذي لم يتمّ، حتى مع الطرف الإيراني، والذي تحدث عنه قطاع الأعمال الإيراني، وتمنى إزالة صعوبات حلّه... وهو لم يتم حكماً مع الطرف الروسي. وهذا هو الإجراء الأوّلي، وكما يقال «أضعف الإيمان»، لتستطيع الحكومة السورية، أن تتبادل مع الأطراف المستعدة بشكل رسمي، وخارج الرقابة الأمريكية على حركة الدولار والنظام المصرفي، وتقلل تكاليف المخاطر.

سفن الشحن السورية الرسمية

أمّا ثانياً: عملية التأمين والشحن، وهذه أيضاً وبالمنطق ذاته، تتطلب أن تتوفر شركات التأمين، والسفن المستعدة للعمل بشكل مستقل، وغير المرتبطة بمنظومة الرقابة المصرفية العالمية. أي: فروع تأمين وسفن شحن سورية مختصة وجاهزة لتجاوز العقوبات، ولا تفرض على الحكومة رسوم مخاطر عالية، كما مع سفن الشحن الخاصة التي شدد الأمريكيون العقوبات عليها، وأرسلوا إنذاراً لـ 80 سفينة شحن مرتبطة بنقل النفط إلى سورية.

إن سعر شراء أغلى سفن نقل النفط العالمية والجديدة، وبسعة 2,5 مليون برميل نفط، يقارب 100 مليون دولار، أي: 50 مليار ليرة... المبلغ الذي يشكل نسبة 16% فقط من مبيعات شركة محروقات في عام 2016. أمّا إذا تم الذهاب إلى خيارات شراء السفن الناقلة المسماة «بالشبح»، أي: الصغيرة، والتي استخدمتها إيران في أسطولها لتجاوز العقوبات، فإنّ أسعار الشراء المستعمل منها، تنخفض إلى ما دون 10 مليون دولار للناقلة، وسعر شقة فخمة في دمشق!

إن شراء سفن حكومية تعمل بشكل مستقل، يوفر المدفوعات الإضافية التي كانت تدفع لسفن شحن النفط الخاصة، بوكلائها المحليين، والتي كانت تصل إلى 220 دولار للطن من المشتقات، لينخفض السعر الإضافي إلى 60 دولار فقط على الطن! الأمر الذي قد يعني انخفاض العمولات بنسبة 72%. إن فرق العمولات هذا وحده كفيل بتغطية شراء سفن النقل... وكأن الغرض من عدم شراء هذه السفن، هو الحفاظ على عمولات كبار الفاسدين.

لا تجد هذه الخيارات أذناً صاغية لدى الجهات الحكومية، لأن منطق توسيع قدرات شركة محروقات، بل جهاز الدولة بمجمله، ليس منطقاً معتمداً في السياسة الاقتصادية السورية.

قرار سياسي- اقتصادي

إن ما يحتاج إليه تجاوز العقوبات، هو قرار سياسي– اقتصادي، بإنشاء آليات مصرفية مستقلة عن منظومة الدولار المصرفية، وببناء استقلالية في عملية التأمين والشحن، الأمر الذي يتطلب وضع مخصصات لزيادة قدرات جهاز الدولة، وتزويده بسفن نقل. العملية التي تعيد عائداً سياسياً واقتصادياً مباشراً، إذ تتيح التحرر من كلف المخاطر والتأمين المرتفعة التي يفرضها الوسطاء، والتي قال رئيس حكومة سابق، أنها ترفع التكلفة بنسبة 40%.

لكن ما الذي يقف في وجه هذا؟!... لماذا لا تبني الحكومة منظومة مصرفية رسمية مستقلة ومرتبطة بالحلفاء، وتؤمن مجموعة سفن نقل، لتأمين ليس فقط احتياجات الطاقة، بل احتياجات الغذاء الأساسية المستوردة التي تكلفتها السورية أعلى من أسعار التصدير العالمية بنسبة تتجاوز 50%؟ ولماذا يحاول البعض رمي هذه المسألة على الأطراف الإيرانية أو الروسية... وأية «عورة» يريد تغطيتها بتقاذف المسؤوليات هذه؟! إن المنطق السياسي يقول: إن الأطراف السياسية الحليفة، معنية سياسياً بقدرة سورية على الاستمرار والاستقرار، بل إنهم مجرّبون في القدرة على تجاوز العقوبات الغربية المفروضة عليهم! الأمر الذي يبقي العائق الأساسي هو في الأطراف المحلية، في القوى التي تعلم أن خطوات جدية ومن هذا النوع، تؤدي إلى خسائر كبرى لقوى المال الطفيلية التي تتغذى بالأزمات، والتي تستفيد من السطوة على جهاز الدولة، وتحد الخيارات الاقتصادية، لتنحصر بالاعتماد على وكلائها.

إنّ سعر شراء أكبر سفينة نقل نفط جديدة يقارب 100 مليون دولار وهو لا يشكّل نسبة 16% من مبيعات المحروقات

إن التصعيد السياسي الأمريكي عبر العقوبات، يهدف إلى تضييق الخناق الاقتصادي، ولكنه يعتمد إلى حد كبير، على ممانعة قوى الفساد الكبير لأية خطوات جدية في مواجهة العقوبات. ولكن هذه العملية لا يمكن أن تستمر طويلاً، وسيفرض الواقع السياسي على هؤلاء، أن يخضعوا للتوجّه شرقاً بشكل فعلي، سيفرض عليهم أن تفتح طرق السكك الحديدية، والربط مع العراق وإيران، وسيفرض أن تفتح البوابات المصرفية مع الأطراف الحليفة، وأن تسير السفن من البحر الأسود وعبر مضيق الدردنيل إلى سورية، ليتم تجاوز قناة السويس التي يضطر النظام المصري للرضوخ للطلبات الأمريكية بالسماح ومنع المرور. إذا لم تجرِ هذه التغيرات الجدية، في إدارة العقوبات والمرحلة، فإن فشل سورية كدولة، وإيقاد الفوضى سيكون مدخله اقتصادياً، وعماده المصالح النفعية وضيق الأفق لقوى الفساد الكبير المحلية، التي تحكم سلوك جهاز الدولة. ولكن هذا الفشل أمر صعب، ولن تسمح به توازنات القوى الدولية الجديدة، والصراع السياسي الدولي، المتجلي في سعي الأمريكيين لاستدامة الأزمة السورية وتعقيد حلها، وإصرار الأطراف الدولية والإقليمية الصاعدة على حل هذه الأزمة، ووصولها إلى التسوية السياسية...

11 كيلو لحمة بالشهر للعيلة

* صباحو يا معلم.
– لك أهلين بأبو أحمد، امرني؟
* قطعلي وقيتين لحمة ناعمة زكاتك.
– شو والله طابشا اليوم؟
* خليا لربك هني هالكم مرة بالشهر، إي وسجلون عالحساب طبعاً.
– إي حافظ درسي... كلو صار يشتري اللحمة، بالوقية، وبالدين!
* إي شو متوقع يعني! تصورني مشتري لحمة متل ما لازم، مستحيل ما بتوفي! إنت بتعرف أديش لازمك لحمة بالشهر؟!
– شو حاسبن كالعادة... أديش!
* يا سيدي بيقولولك البني آدم بدو باليوم 75 غرام. خليه يكتر الجاجات، وياكل 50 غرام جاج، و25غرام لحمة... بيطلع بدك كيلو ونص جاج بالشهر وتلت رباع الكيلو لحمة، بالله احسبلي ياهن أديش بيكلفو بالشهر؟
– إذا قلنا كيلو العجل بـ4800 ليرة، وكيلو الجاج بـ1150، وشوية لحم غنم إذا قدرت تجيب، يعني بيطلعو 5600 ليرة بالشهر بالضبط، وهدول إلك لحالك.
* طيب وإذا بدنا نطعمي المرة والأولاد أديش بيطلعوا معك؟
– على 5 نفوس بالبيت، يعني بدك تجبلك 11 كيلو بالشهر، عالأقل فروجين كبار بالشهر من تبعات الـ 3 كيلو ونص، وتفوتلك أربعة كيلو لحمة عالبيت بالشهر، وهدول كلفتن 28 ألف ليرة.
* يعني تلت رباع راتبي، شفت هاد شكل واحد خرج يتغذى متل العالم والناس؟
– لكن عمرنا ما كنا ناكل لحمة!... إذا عهالحسبة لازم تكون حصة الواحد بالسنة 27 كيلو، إي ما حدا بكل الدني بياكل هيك!
* شو ما حدا! بطالعلك إياها السيرة؟ هات لنشوف أديش بياكل البني آدم لحمة بالسنة، اسمع شو عم يحكو...
يا سيدي عندك بأميركا الواحد بياكلو بحدود الـ 100 كيلو بالسنة، قول يا أخي هدول صريفة، شو بدنا منن، بس عندك البرازيل مثلاً 77 كيلو، كندا 70... لك الأردن يلي بلزقنا الواحد منن بيستهلك 36 كيلو لحمة بالسنة.
– إي وعنا؟!
* عنا... إي قبل الأزمة بالـ 2010، كان إذا بتجمع اللحمة وبتوزعها بالعدل، بيطلع لكل سوري 18 كيلو بالسنة: 10 لحمة و8 فروج، هيك بتقلك وزارة الزراعة، وبالـ 2017 كل واحد بسورية يفترض يطلعلوا حصة 17 كيلو بالسنة... يعني ما كتير فرقت، نحنا نقصنا صرنا 18 مليون، والدواب كمان قلّوا وضلينا راس براس تقريباً.
– والله إذا هيك يفترض ما تكون اللحمة غليت كتير!
* إي ليكا ما غليت كتير، بالجزيرة حق الخروف 40 ألف ليرة، بس لتوصلوا عالشام بيصير بـ 75 ألف! والفرق بيروح عالطريق «الشبيبة الطيبة» ما بيوفرو شي.
– بعدين كمان خط تهريب شغال عالخليج، وعلبنان... السنة الماضية حكوا إنو عم يبيعوا راس غنم العواس السوري بالخليج بحدود 166 ألف ليرة، بس بيهربولك بدالو لحم فروج تركي، تاكلو بعد ما يخم!
* يعني المهم حتى ناكل لحمة متل العالم والناس... لازم ما تتهرب ولا تتصدر، وفوقا لازم يزيد الإنتاج أكتر من النص، لحتى تقول إنو في لحمة تكفي الحد الأدنى للسوريين. والأهم إنو يكون فيك تشتريا!

الراتب 7 كغ لحمة!

* بتعرف بهالزمانات، بالخمسينات، كان يقيسوا أجرة الشغيل باليوم بكيلو لحمة غنم، يعني أقل راتب هديك الأيام كان 30 كيلو غنم بالشهر! بقى لو لسا ماشية هالحسبة، لازم تكون يوميتك بحدود الـ8000 ليرة والراتب بحيطان الـ250 ألف ليرة بالشهر!
– إي وشو راتبك اليوم، كم كيلو لحمة؟
* 7 كيلو، يعني بعد 70 سنة، صار راتب الشهر، متل راتب 7 إيام!

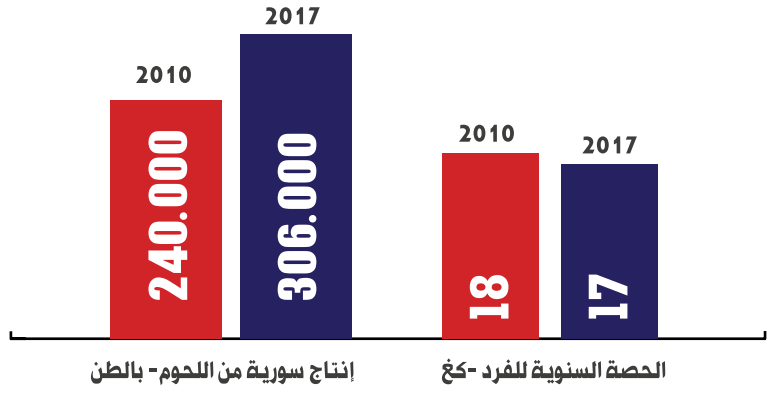

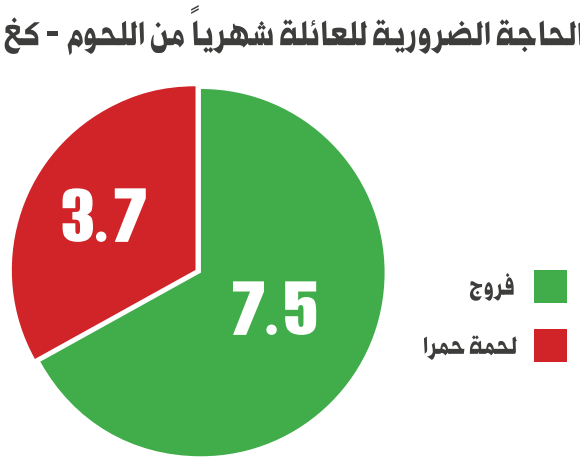

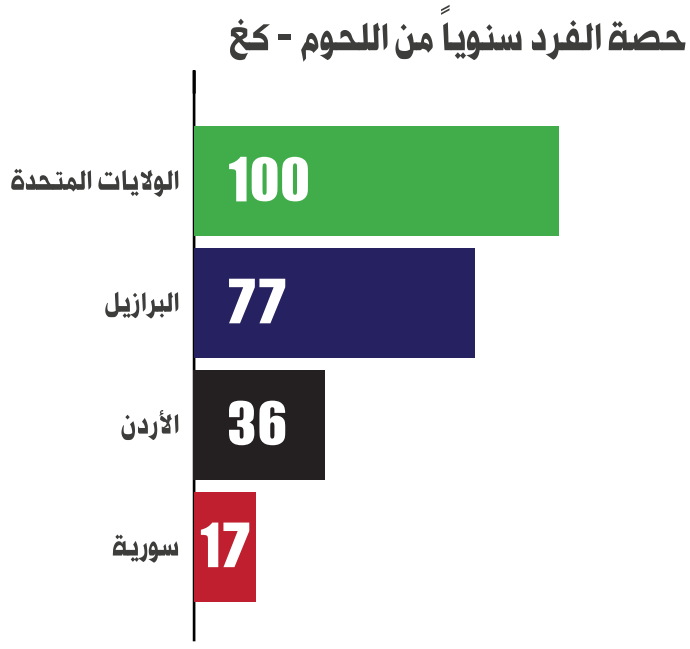

حتى قبل الأزمة الإنتاج السوري من اللحوم كان 18 كيلو سنوياً للفرد أقل من الحاجة الضرورية سنوياً 27 كغ!

أزمة تلو الأزمة

مؤشرات قدوم التأزم المالي

أصبح من الواضح أن الأزمات المالية ليست حوادث منفصلة، بل هي ظواهر مترابطة وعالمية، وتعود إلى فترة تحرير الأسواق المالية في مرحلة تاتشر-ريغان مطلع الثمانينات.

■ قاسيون

إن الحوادث الثلاث الأبرز في هذا السياق، هي: انتقال فائض رأس المال إلى شرق آسيا، بعد أن انفجرت الفقاعة اليابانية في أواخر الثمانينات والتي كانت مركز المضاربة في ذلك الحين، وساهم رأس المال الفائض في خلق الأزمة المالية الآسيوية في 1997–1998، والأزمة الآسيوية بدورها ساعدت في الانهيار المالي في وول ستريت في عام 2008، حيث توجهت رؤوس الأموال من هناك إلى الولايات المتحدة، لتساعد في تأجيج طفرة العقارات. واليوم لم يتغير شيء، وتظهر المؤشرات الحالية أنّ العالم يتزلج على الجليد الرقيق مرة أخرى.

فأولاً: المصطلح الذي أطلق في 2008 حول البنوك المأزومة: «أكبر من أن تفشل» قد تفاقم اليوم. والبنوك «الست الكبرى» في الولايات المتحدة قد أصبحت أكبر: جي بي مورغان، سيتي جروب، ويلز فارغو، بنك أمريكا، جولدمان ساكس، ومرغان ستانلي. قد زادت ودائعهم مجتمعين بنسبة 43%، وزادت أصولهم بنسبة 84%، وضاعفوا ثلاث مرات كمية الكاش التي يملكونها قبل عام 2008. مضاعفين بهذا من خطر سقوط النظام المصرفي ليكون أكبر من مستوى عام 2008.

أما ثانياً: فلا تزال هذه البنوك على السلوك ذاته الذي دفع إلى الأزمة، حيث يتم تداول المنتجات المالية الخطرة، والتي تشمل حوالي 6,7 تريليون دولار من الأوراق المالية المدعومة بالقروض العقارية، حيث تم الحفاظ على قيمتها من الانهيار، لأن الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي اشترى 1,7 تريليون دولار منها.

تمتلك البنوك الأمريكية مجتمعة 157 تريليون دولار من المشتقات، أي: حوالي ضعف الناتج المحلي الإجمالي العالمي. وهذا يزيد بنسبة 12% عما كانت عليه في بداية أزمة عام 2008. وتمثل سيتي غروب وحدها 44 تريليون دولار، أو 50% زيادة على مقتنياتها في عام 2008.

أما ثالثاً: فتستمر النجوم الجديدة في النظام المالي العالمي، بالتوسع، وتحديداً اتحاد المؤسسات الاستثمارية، المكونة من صناديق الاحتياط، وصناديق الأسهم الخاصة، وصناديق الثروة السيادية، وصناديق المعاشات التقاعدية، وكيانات المستثمرين الأخرى... تستمر بالتجول في الشبكة المالية العالمية دون رادع، وتعمل في إطار الملاذات الضريبية، وتبحث عن فرص المضاربة في العملات والأوراق المالية، أو إعادة شراء أسهم الشركات لتكبير ربحيتها. ويتركز هنا حوالي 100 تريليون دولار في أيدي هذه الملاجئ الضريبية العائمة للأغنياء الكبار في 20 صندوق من هذا النوع.

تمتلك البنوك الأمريكية من المشتقات 157 تريليون دولار وضعف الناتج العالمي وتكرر ما حصل في 2008

رابعاً: تحقق هذه الأطراف المالية الأرباح الكبيرة، بناء على بحر السيولة العائم والمقدم من البنوك المركزية عبر العالم، التي أطلقت المال الرخيص عبر طباعة تريليونات الدولارات من الدَّين، لترفع مستوى الدَّين العالمي إلى 325 تريليون دولار، أكبر بثلاث مرات من الناتج الإجمالي العالمي.

من كل ما سبق، إن الاقتصاديين العالميين، يُجمعون ومن مختلف الأطياف السياسية، أنّ كل هذا التراكم في الديون، لا يمكن أن يستمر إلى أجل غير مسمى، دون أن يطلق الكارثة.

■ *عن مقال Walden Bello: Crisis after crisis: what do indicators tell us about the driveway toward the next financial crisis

في إيطاليا... مطالب بتأميم البنك المركزي

تدفع الحكومة الإيطالية نحو قوانين جديدة تتحدى إمساك البنك المركزي باحتياطي الدولة الإيطالية، لتدعو روما إلى «الملكية العامة» على ذهب البلاد، وما تسميه الصحافة الإيطالية: تأميم البنك المركزي.

■ قاسيون

طرح الائتلاف الحاكم الإيطالي مشروعي قانونين، أثارا الكثير من الجدل على مستوى البلاد حول النظام المالي والنقدي طويل الأمد في إيطاليا. وقد يلزم مشروع القانون الأول مالكي البنك المركزي الإيطالي ببيع أسهمهم إلى الخزانة الإيطالية، بأسعار تعود إلى ثلاثينيات القرن الماضي، في حين أن القانون الثاني، من المتوقع أن يعلن أن المواطنين الإيطاليين هم أصحاب احتياطيات بنك إيطاليا.

وقد نقلت وول ستريت جورنال عن زعيمة حزب المعارضة «إخوان إيطاليا» جورجيا ميلوني: «الذهب ملك للإيطاليين وليس للمصرفيين... نحن مستعدون للمعركة في كل مكان في إيطاليا إذا لزم الأمر».

تُلقي الأحزاب الإيطالية اللائمة على النظام المالي والمصرفي، وتحمله خسائر المستثمرين الأفراد الصغار التي تراكمت نتيجة سقوط العديد من المؤسسات المالية الإيطالية في الآونة الأخيرة، كما تعتبر أن البنك المركزي فشل بالقيام في الإشراف المناسب على النظام المصرفي في البلاد خلال الأزمة الأخيرة، التي وضعت منطقة اليورو بكاملها في خطر.

بنك إيطاليا المركزي، كما البنوك المركزية في أغلب دول المركز وعبر العالم، يتمتع باستقلالية كاملة في عملية صنع القرار، وهو بنك مخصخص يمتلك الحصص فيه كبار الممولين من مؤسسات وأشخاص، ولا تستطيع «الحكومات المنتخبة» أن تفرض عليه قوانينها. ويحتفظ بنك إيطاليا بـ 2534 طناً متريا من الذهب، بقيمة حوالي 102 مليار دولار.

يظهر مجدداً وفي هذا المفصل، الصراع بين الحكومة الإيطالية الحالية التي لا تتمسك أحزابها بالاتحاد الأوروبي، بل تدعو للخروج منه، وبين الرئيس الإيطالي المحسوب على الاتحاد الأوروبي، إذ إنه لا يدعم اقتراح الحكومة لبيع بعض ممتلكات الذهب، عوضاً عن زيادة ضريبة القيمة المضافة المقررة لعام 2020. كما يدعو ماتاريلا الرئيس الإيطالي، إلى تجنب التدخل في عمل السلطات المستقلة، كما البنك المركزي الإيطالي، الذي يجب برأيه ألاّ يقبل التعليمات من الحكومات.

الائتلاف الحاكم الإيطالي، ومجموعة من الأحزاب الإيطالية الأخرى، بما يشكل نسبة 60% من المشرعين، يدعمون الملكية العامة لاحتياطيات الذهب، والقدرة على التصرف بها. ويبدو أن مشروع القانون لديه كل الفرص للموافقة عليه، وعندما نتحدث عن تأميم البنك المركزي، فإن الصراع الإيطالي ينتقل إلى عتبة جديدة، ليعبر عن الاتجاهات في قلب المنظومة الغربية. ويأتي خطوة تصعيدية أخرى، بعد النقاش الحاد على شطب الجزء الأكبر من الديون الإيطالية على الاتحاد الأوروبي، مقابل التلويح بخروج إيطاليا من الاتحاد، الأمر الذي لم يحسم بعد.

ويكيليكس... في دائرة الضوء من جديد

ضجّت وسائل الإعلام في الثاني عشر من شهر نيسان الجاري بحادثة اعتقال مؤسس موقع ويكيليكس، جوليان أسانج، الذي تم استناداً إلى مذكرة التوقيف التي أصدرتها محكمة وستمنستر بحقه في عام 2012، على خلفية عدم مثوله أمام المحكمة، وذلك بعد قضائه مدة سبع سنوات في السفارة الإكوادورية في لندن، لتفادي ترحيله إلى السويد المتهم فيها بالاعتداء الجنسي، وسيتم إبقاء أسانج قيد التوقيف حتى 12 أيار المقبل.

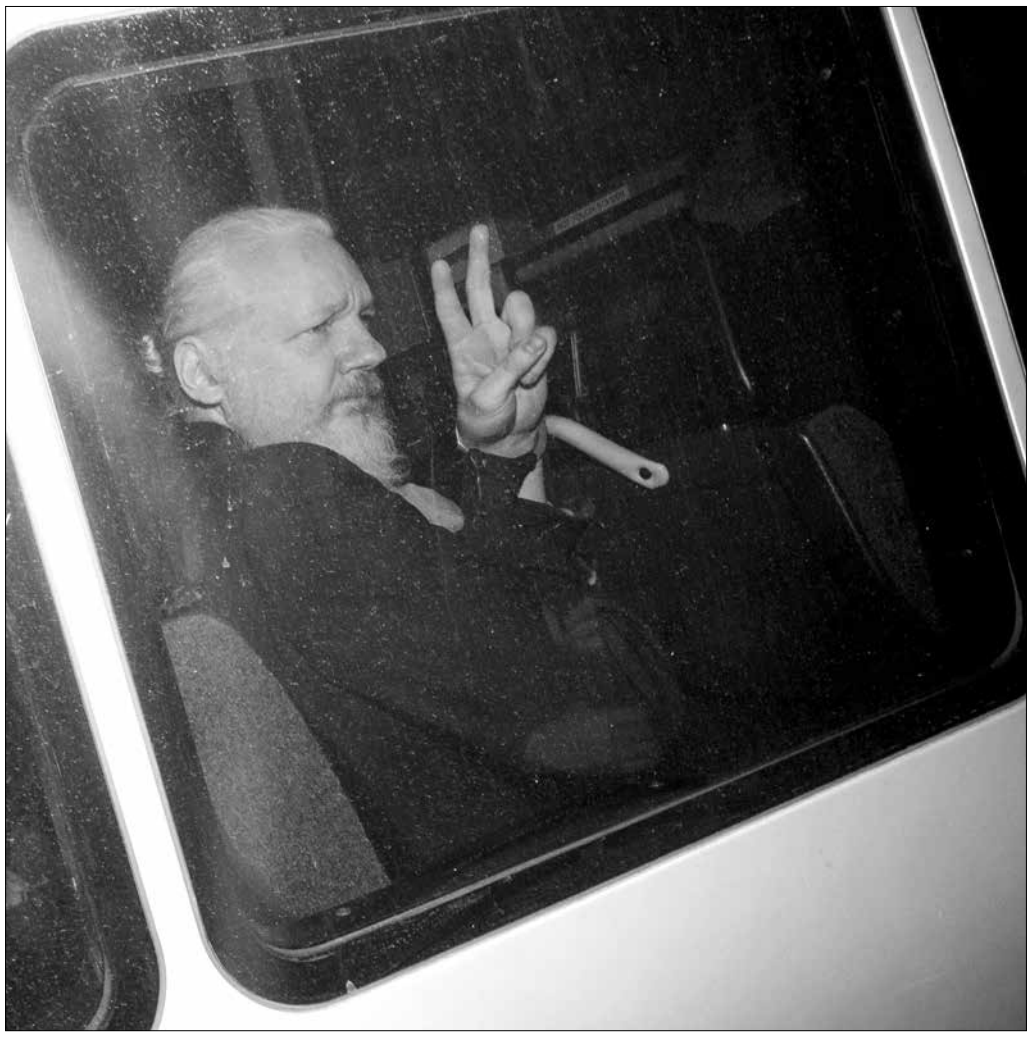

■ رشا النجار

تمّ إسقاط تهمة الاغتصاب عن أسانج في 2017، ولكنه ما زال متهماً بالكثير من القضايا التي تخصّ عمله في ويكيليكس، حيث تطالب الولايات المتحدة بتسليم أسانج لمحاكمته بتهمة «التآمر مع مخبر ويكيليكس تشيلسي مانينغ لسرقة ونشر وثائق حكومية سرية». ومن المحتمل أن يتم ترحيل أسانج إلى واشنطن، لاسيما وأن الشرطة البريطانية أكدت أن اعتقال أسانج جاء بناء على مذكرة توقيف أصدرها القضاء الأمريكي.

اعتقال أسانج جاء بعد تخلّي الإكوادور عن تقديم اللجوء السياسي له، ولا سيما بعد تغيّر النظام الحاكم فيها، حيث تناقلت مجموعة من الصحف أخباراً عن محاولة نظام لينين مورينو الحليف لواشنطن، تغطية ملفات فساد فاضحة في الإكوادور، عبر الهجوم على شخص جوليان أسانج، بوصفه يتآمر مع رفائيل كوريا، الرئيس الإكوادوري السابق، وكذلك المساهمة في تهيئة الظروف لتسليم أسانج للولايات المتحدة الأمريكية، مقابل إعفاء الإكوادور من ديونها المتقادمة.

الملفت للانتباه هو موقف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب من حادثة اعتقال أسانج، حيث قال ترامب: إنه لا يعرف شيئاً عن ويكيليكس ولا عن اعتقال مؤسس الموقع جوليان أسانج. وأضاف: أنه اطلع على تقارير عن اعتقال أسانج في لندن بناءً على طلب السلطات الأمريكية، لكنه قال: إن «أي شيء آخر سيحدده المدعي العام»، ومن المعروف أنّ ترامب في حملته الانتخابية عام 2016 قد امتدح عمل ويكيليكس عدة مرات. تصريح ترامب المحايد ليس مستغرباً كثيراً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار النهج الأمريكي الذي يمثله ترامب، فسياسة «الانكفاء نحو الداخل» و«أمريكا أولاً» في ظل التغيرات العالمية في موازين القوى، والتراجع الواضح للقطب الأمريكي، وعمق الانقسام الداخلي في الجهاز الحاكم الأمريكي، كل هذا يتطلب نقداً لمجمل السياسات التي سبقت هذا العهد الجديد في الإدارة الأمريكية، ويأتي دعم ويكيليكس ضمن هذا السياق.

فويكيليكس هي منظمة نشأت في 2006، وقامت بنشر العديد من الوثائق السرية والاستخباراتية الهامة، على رأسها وثائق تتعلق بالحرب على أفغانستان– حوالي 90 ألف وثيقة– تم نشرها سنة 2010، وفي الأعوام التالية تم نشر مقاطع سرية ورسائل إلكترونية، وبرقيات دبلوماسية ووثائق حكومية وعسكرية بما فيها 400 ألف وثيقة عن الحرب في العراق، ومقطع الفيديو الشهير الذي يوثق هجوماً شنته طائرة أباتشي أمريكية عام 2007 على مجموعة من المدنيين العراقيين في أحد أحياء العاصمة العراقية بغداد.

ملف أسانج اليوم يأتي ضمن سياق مجموعة ملفات أخرى تؤدي إلى نفس النتيجة، فويكيليكس هي تعبير عن تفسخ لمنظومة عالمية، يُضرّ بمصالح هذه المنظومة نفسها إلّا أنه قد يصب في صالح أقطاب أخرى. ومنه لا بدّ عند محاولة تفسير قضايا جزئية مثل: قضية أسانج، لا بد من وضعها ضمن سياقها الطبيعي، فظهور عفن وقذارة المنظومة الأمريكية على أيدي من هم في داخل هذه المنظومة ذاتها، وفي هذه اللحظة التي يتراجع فيها هذا القطب، ويتقدم قطب آخر إنما يدل على عمق الأزمة في المركز الإمبريالي اليوم، والانقسام الصريح الذي يزداد حدةً يوماً تلو الآخر، وخوف هذه الأطراف من فضح ملفاتهم الفاسدة.

الانتخابات «الإسرائيلية» ووهم الديمقراطية

جرى تداول الانتخابات «الإسرائيلية» مؤخراً بوصفها حدثاً جللاً خاصة بعد ربطه عبر وسائل الإعلام بمسألة «ضمّ الجولان» و«صفقة القرن».

الحالة «الإسرائيلية» من حيث الدعاية «الديمقراطية» داخلها تشابه تماماً الحالة الأمريكية... فمن يرى الحزبين الجمهوري والديمقراطي في الولايات المتحدة بوصفهما تيارين سياسيَيْن مستقلين مختلفين ومتعارضين شكلاً ومضموناً و«يسار» و«يمين»، سوف يعتقد بأن «الليكود» الإسرائيلي مختلف عن «أزرق أبيض».

في كلتا الأرضين، إن النخبة الحاكمة والمتنفّذة تسمح بمقدار «صفر ديمقراطية» بالمعنى الشامل للكلمة، وجُلّ ما يحدث من تغييرات بالجانب السياسي فيها لا يأتي إلّا من تغيّرات موازين القوى الاقتصادية داخلها في حالة الانقسام، تلك القوى الاقتصادية التي ليس للشعوب منها أيّة فائدة تُذكر إلّا إذا اشتدّ انقسامها، لتبقى الحالة «الديمقراطية» والأحزاب السياسية المعنية بها مسألة إعلامية غايتها «القمع» عبر إيهام الشعوب بها.

في الحالة «الإسرائيلية» فإن أيّة حكومة موجودة ومن أيّ حزب يدّعونه، سيجري تقديمه بما يتوافق مع أجندة المصالح الإمبريالية التي يحددها المركز الأمريكي بشكل أساسي في اللحظة المعنية، وفي هذا السياق فإن أيّة حكومة ستكون «قلقة» في موقعها هذا لعدم وجود أية سيطرة شعبية أو تمثيل شعبيّ فيها.

يمتدّ هذا الوهم من الداخل الإسرائيلي إلى خارجه، عندما يجري ربط مسألة «ضمّ الجولان» وغيرها من الإعلانات بالانتخابات، فبالمعنى الموضوعي والعضوي للمسألة ما من علاقة تربط فيما بين إعلان ترامب هذا وفوز «نتنياهو»، فالرابح هناك مُحدد مسبقاً. إلّا أنّ توقيت الإعلان هو المسألة الوحيدة التي يمكن اعتبارها مؤثرة، لكن ليس بإطار الدعم كما يروّج، وإنما بإطار وضع «حوامل شكلية» تُبرّر النتيجة المعروفة مسبقاً، أي: تزامن الحاجة الأمريكية لهذه الخطوة مع فترة الانتخابات «الإسرائيلية».

إن الكيان الصهيوني، وحكومة «إسرائيل» المُعبرة عنه وعن ترابطه الوثيق بالمركز الأمريكي لم يكن باستطاعته تقديم أية مساحة «ديمقراطية» مهما قلّ مقدارها بفترات ذروته في العقود الماضية، فكيف الآن بفترات تراجعه وأزمته ومسألة زواله القريب؟ بل على العكس، تتزايد الضرورة موضوعياً لديه باشتداد القبضة الاقتصادية والسياسية ومركزة القرار.

«الثقوب السوداء»... وتشويه تاريخ الزمن «1»

«إذن، فهي إمّا خدعة، أو صورٌ للروح... ولسنا بحاجة لإثبات أنه لم يكن صعباً على المصوِّر الحصول على «موديل» للروح... وفي الحقيقة، ليس بوسع التجريبية البحتة وضعُ حدٍّ للأرواحيّين... إنّ الظواهر «العليا» لا تنبدي إلّا عندما يكون «الباحث» المعني قد طوَّعَ إلى درجة، أصبح معها مستعداً ألّا يرى إلّا ما يراد له أن يراه، أو يرغب في أن يراه...»

«فريديريك إنجلس، «العلوم الطبيعية في عالم الأرواح» - 1878»

■ د. أسامة دليقان

أعلن علماء من مراصد «تلسكوب أفق الحدث» EHT رسمياً في مؤتمر صحفي «10 نيسان 2019» أنهم حصلوا على أول صورة لثقب أسود، باستخدام أرصاد لمركز مجرّة M87. وتظهر الصورة ما قالوا إنها «حلقة ساطعة تشكّلت من انحناء الضوء في الجاذبية الشديدة حول ثقب أسود كتلته أكبر بـ 6,5 مليون مرة من كتلة الشمس». وقال المرصد: إن «هذه الصورة التي طال انتظارها، تقدّم الدليل الأقوى حتى اليوم على وجود ثقوب سوداء سوبَر- هائلة». وفي كلمة «مؤسسة العلم القومية» الأمريكية الحكومية NSF الممولة للمشروع قالت مديرتها الفيزيائية الفلكية فرانس كوردوفا: «شكراً لمشاركتنا هذه اللحظة التاريخية... لطالما فتنت الثقوب السوداء مخيلة العلماء والعامّة لعقود من الزمن. في الحقيقة كنا ندرس الثقوب السوداء على مدى زمن طويل، لدرجة أنه أحياناً من السهل أن ننسى أنّهُ لا أحد منّا بالفعل قد رأى واحداً منها. نعم لدينا نماذج محاكاة وتمثيلات. وبفضل الأدوات المدعومة من مؤسسة العلم القومية استطعنا كشف اندماج ثقبين أسودين عميقاً في الفضاء، وسبق ورصدنا النقل الانتيابي للمادة من نجوم مرافقة إلى ثقوب سوداء، بعض الثقوب السوداء تخلق نُفثات من الجسيمات والإشعاع... لكننا لم نرَ فعلياً أفق الحدث؛ نقطة اللاعودة تلك التي لا يستطيع أيّ شيء، ولا حتّى الضوء، أن يفلت منها إلى خارج الثقب الأسود...».

في العادة لا يستطيع العلماء والمختصون تقييم اكتشاف حديث إلّا بعد أخذ الوقت الكافي لنشر كل أوراقه وتفاصيله وتحليلها ودراستها. لكن ريثما يحدث هذا، وحتى نأخذ فكرة قد تساعد على الأقل في التروّي في إطلاق حُكم مطلق ما على هذا «الاكتشاف» الجديد، دعونا نلقي نظرة على نموذج سابق من «الاكتشافات» التي أنجزها أضخم مشروع كانت مموّلته الرئيسة هي أيضاً مؤسسة العلم القومية الأمريكية نفسها، وهو مشروع «ليغو» LIGO «مرصد أمواج الجاذبية للتداخل الليزري» الذي رصد بالضبط «الاكتشاف» الذي تحدّثت عنه كوردوفا في كلمتها الافتتاحية أعلاه «أمواج الجاذبية من اندماج ثقبين أسودين».

الشكوك حول «اكتشاف أمواج الجاذبية»

في كتابه «فلسفة الفيزياء» «1972، ص43» يقول فيلسوف العلم والفيزيائي ماريو بونج: «إنّ أيّ تضارُب بين النظرية ونتائج الملاحظة التجريبية يمكن عزوه إلى أخطاء في الملاحظة التجريبية، أو بعض المكونات في النموذج النظري... ولكن من حيث المبدأ، جميع المكونات خاضعة للشكّ: النظرية العامة، الفرضيات الخاصة، الموضوع المدروس كنموذج، الحسابات، وحتى البيانات». هذا في العلم الحقيقي الساعي إلى تصحيح نفسه باستمرار. لكن لا يبدو أنّ هذه المبادئ العلمية المعروفة تلقى أيّة مراعاة في ممارسات العلم السائد اليوم. ولنأخذ ما سمّي «اكتشاف أمواج الجاذبية» كمثال حديث نسبياً، يعدّ هذا «الاكتشاف» من المستندات «التجريبية» الحديثة لكونيّات الانفجار الكبير والثقوب السوداء «حملت ورقته المنشورة في 16 صفحة عنوان: «ملاحظة أمواج الجاذبية من اندماج ثقب أسود ثنائي»»، وقد أثيرَت حولَه شكوكٌ كثيرة، نورد منها: انتقاد هيلتون راتكليف «فلكي وفيزيائي ورياضيّ من جنوب إفريقيا ساهم مع عالمَين آخرين باكتشاف دورة الكربون- نتروجين- أوكسجين من تفاعل الاندماج النووي في الشمس»، ونقتبس من تلخيصه لورقته العلمية النقدية بهذا الخصوص «18 آذار 2016»:

«في 11 شباط 2016 تقدَّمَت مجموعة من نحو ألف عالم بورقة أعلنوا فيها أنّ أجهزة مرصد أمواج الجاذبية المعتمد على التداخل الليزري LIGO وبعد أكثر من عقد من مراكمة البيانات غير المثمرة، استطاعت أخيراً اكتشاف إشارة أمواج جاذبية قادمة من حدث فضائيّ عميق. وهي الأمواج التي كان ألبرت أينشتاين قد توقّع وجودها في ورقته المعروفة بالنظرية النسبية العامّة. ولطالما كنتُ أعرفُ منذ زمن أن ثمّة نتائج تُنسَب إلى ملاحظات تجريبية تستخدمُ فيها تجهيزات عاجزةً أصلاً عن القيام بها. ولكي أشرح الموضوع بشكل مفهوم للشخص العادي، هاكم تحليلي:

في 14 أيلول 2015، لاحظ مَرصَد LIGO «اضطراباً موجيّاً» دامَ نحو خُمْس الثانية. واقترحتْ تحليلاتُ الإشارة بأنّها ناجمة عن تصادم هائل لثقبَين أسودين على بعد مليار سنة ضوئية. سؤال: هل يمكن لتصادم بين جسمين هائلين أنْ يُنتِجُ موجةً تدومُ فقط خُمْس الثّانية؟! إنّ تجهيزات المَرصد صُمِّمَت لتحاول إنجاز هدف محدّد متعلّق بتوقّعات النظرية النسبية العامّة. حيث استخدموا مرايا تبعد عن بعضها 4 كيلومترات، لقياس تغيُّر بالمسافة يتوقّعونه [باستخدام الليزر] من رُتبة 10–18 أو 10–15 ميليمتر. أي: أنهم يبحثون عن تغيُّر في مسافة الكيلومترات الأربعة بمقدار جزء من ألف ترليون من الميليمتر! وهذا يتطلّب أن تكون حساسيّة تصميم الجهاز من رتبة 1021 «أيْ جزء من مليار ترليون». ولتصوّر أوضح نذكر بأن قطر ذرة الهيدروجين المقيسة تجريبياً هي نحو 10–7 ملم. أيْ أنهم يسعون لقياس تغيّر مسافة بمقدار جزء من مئة مليون من قطر ذرة الهيدروجين. لكنّ أفضل دقة تمّ التوصّل إليها لصقل سطح مرآة، مثل: المرايا الفلكية المستخدمة في مرصد LIGO، هي من رتبة 25 نانومتر «نحو ثلاثة من عشرة آلاف جزء من مقطع شعرة الإنسان»، وبالتالي سطح تلك المرايا فيه نتوءات مجهرية بارزة أو حفر غائرة بمقدار 25 نانومتر كحدّ أقصى، ورغم هذه الدقة الفائقة، فإنّ هذه التضاريس الدقيقة في سطح المرايا تبقى أكبر بمليار مرّة من إشارة موجة الجاذبية التي يزعم علماء مرصد LIGO بأنّهم قاسوها! ما يجعل من المستحيل بهذه الشروط التقنية تحقيق القياس المطلوب، ويجعل عملهم يعتمد على التخمينات. هذا عدا عن المؤثّرات الأخرى، مثل: تقلص وتمدد مسافة الـ4 كيلومتر بفعل تغيرات حرارة الجو وغيرها. أمّا بالنسبة للإشارات القادمة فثمّة عدد لا يحصى من المؤثرات الفضائية بين المجرات وحقول القوى قد تتعرّض لها قبل أن تصل للأرض. ويجدر بالذكر، أنّ تكلفة تمويل المشروع وصلت إلى أكثر من مليار دولار أمريكي. والخلاصة: يمكن أن أقول باستعارة مشابهة لما قاله ستيفن وانبيرغ «الحائز على جائز نوبل» بشأن تأويل إيدوين هابل الأولي لإشارات الانزياح الأحمر من المجرّات: يبدو أنّهم كانوا يعرفون سَلَفاً الجواب الذي يريدونه حتى قبل السؤال».

هذا إضافة إلى أنّ مصادر شكّ أخرى جاءت مما ذُكر عن تزامن تسجيل تلك الموجات مع حدوث عواصف كهرومغناطيسية غير اعتيادية في يوم «الاكتشاف» نفسه.

فيما بعد، زادت الشكوك من علماء ومراكز أخرى في العالَم، كان أكثرها إثارة للجدل، النقد الذي قام به فريق من الفيزيائيين بقيادة أندرو جاكسون من معهد نيلز بور في كوبنهاغن، الدنمارك، حيث وجدوا «علاقات غير مفسَّرة» في ورقة «الاكتشاف» البحثية التي نشرها فريق المرصد الأمريكي LIGO، وقال جاكسون: إنّ المشكلات فيها «قد تتراوح ما بين تعديلات صغيرة في الموجة المستخلصة، إلى رفض كامل للاكتشاف المزعوم» ونشروا انتقادهم بورقة بحثية في 13 حزيران 2017، أثارت جدلاً واسعاً، مما اضطر أيان هاري أحد باحثي فريق LIGO إلى الرد بعد خمسة أيام، ليعود فريق جاكسون فيردّ عليه مجدداً... واللافت للانتباه في ردود العلماء المدافعين عن رأي مرصد LIGO أنّها تركّزت بشكل رئيس على أحد أمرين: إمّا عَزو نتائج منتقديهم إلى «أخطاء رياضيّة» في تحليل البيانات، أو الاكتفاء بالدّفاع الأعمى عن فريق LIGO، مثل: ردّ الفيزيائي النظري روبرت واغونر بقوله «إنّ الوحيدين الكفوئين لتحليل هذه الورقة هم فريق LIGO العلمي»، أو ردّ الفيزيائي الفلكي شتاين سيغورثسون بقوله «من النادر جداً لأحد من الخارج أن يعثر على أخطاء مهمّة لدى فريق كبير». وهذان الأخيران هما، على التوالي، من جامعتَي ستانفورد وبنسلفانيا الأمريكيَّتَين.

في العادة لا يستطيع العلماء والمختصون تقييم اكتشاف حديث إلّا بعد أخذ الوقت الكافي لنشر كل أوراقه وتفاصيله وتحليلها ودراستها

ومن الانتقادات الكثيرة الأخرى أيضاً، نذكر الورقة التي قدّمها البروفسور ألكسندر لوكانيكوف أثناء «المؤتمر الدولي العشرين للتأويل الفيزيائي للنظرية النسبية» PIRT «المنعقد في موسكو 03– 06 تموز 2017»، بناءً على تحليله للبيانات الرسمية المنشورة، حيث أورد فيها عدة تفاصيل مثيرة للاهتمام، نذكر منها مثلاً: أنه راقب البيانات التي نشرت على الموقع الرسمي للمرصد في شباط حتى أيار 2016، فوجد أنه جرى لاحقاً تعديلها في تموز 2016 بحيث أزيح زمن وصول الأمواج الملتقطة المسجّل بمقدار 0,39 ثانية مما أثار الشكوك حول موثوقية زمن الوصول. كما خلص من تحليله إلى نتيجة تفيد: بأنّ فلتراً قد سجّل استجابة قبل وصول التأثير الذي يفترض أن يسجّله، مما «يخرق مبدأ السببية» ويجعل الفلتر «غير موثوق فيزيائياً» و«يقود إلى التقاط كاذب لإشارات، وانزياحات زمن الوصول وتشويه بأشكالها» وفق لوكانيكوف.

في فترة أزمة علمية عميقة كهذه، قد لا يكون مستغرباً أنّه رغم كلّ ذلك، فإنّ ثلاثة من علماء فريق LIGO قد مُنحوا بالفعل جائزة نوبل للفيزياء 2017 على «اكتشاف أمواج الجاذبية»!

السودان: البشير رحل.. و«لم تسقط بعد»!

بالرغم من انقلاب الجيش السوداني على الرئيس عمر البشير، الخميس الماضي، لايزال السودانيون في الساحات يرفعون شعار «لم تسقط بعد». فلم يكتفِ المتظاهرون بإعلان اختفاء الرئيس السوداني، لترك الشارع، إذ لا يزالون يتمسكون بمطالبهم السياسية والاقتصادية وسط العديد من المخاوف؛ كلعبة تبديل الوجوه لرموز الحكم، ومحاولات اختطاف الحركة الشعبية السودانية ومخاطر إثارة النزاعات المسلحة في البلاد

■ محمد الذياب

أفضت الاحتجاجات الشعبية في السودان على مدى الأشهر الأربعة الماضية إلى تحولات دراماتيكية تؤشر على دخول البلاد في أزمة عميقة لم تتضح آفاق حلها حتى الآن. فبعد تدهور الوضع الاقتصادي والمعيشي خرجت الجماهير تدريجياً إلى الساحات احتجاجاً على رفع أسعار الخبز والمحروقات ومطالبة بالإصلاح ومكافحة الفساد. وما لبث أن تطور الحراك بعد ذلك إلى المطالبة برحيل الرئيس عمر البشير والزمرة الحاكمة. وعقب محاولة الأجهزة الأمنية قمع المتظاهرين، وقتلها العشرات منهم، توجهت الجماهير إلى مقرات الجيش رافعة شعاراتها ومطالبها التي تصدرها شعار «تسقط بس!»، ليضع ذلك نظام الحكم في مأزق قاد إلى سلسلة من التحولات.

البداية انقلاب

لم يتوقع حتى المتظاهرين السودانيين أن تشهد ثلاثة أيام فقط تعاقُب ثلاث واجهات للنظام بعد جثومه على كاهل البلاد لثلاثين عاماً. ففي فجر الخميس الماضي، 11 إبريل، أعلن عن انقلاب ضد الرئيس السوداني بقيادة وزير الدفاع الفريق أول عوض بن عوف، الذي أعلن في بيان أنه شكل «مجلساً عسكرياً» لقيادة البلاد لمدة سنتين كفترة انتقالية لتسليم السلطة إلى حكومة مدنية منتخبة، وعن «إطلاق حالة الطوارئ لثلاثة أشهر، وحظر التجوال في عموم السودان من الساعة 10 مساءً إلى الرابعة صباحاً لمدة شهر». وقوبل البيان بردود فعل غاضبة من الجماهير، التي برز في واجهتها إعلامياً «تجمع المهنيين السودانيين» الذي يضم مجموعة من النقابات التي تشكلت ذاتياً. ليظهر لاحقاً تحالف «إعلان قوى الحرية والتغيير»، المكون من مجموعة أحزاب مع «تجمع المهنيين السودانيين». واتهمت الواجهات المذكورة خطوة بن عوف أنها حركة التفافية لتأريض الحراك الشعبي، وأنها تمت بترتيب مسبق بين كل الأطراف المكونة للنظام السوداني بما فيها الرئيس عمر البشير، مطالبة في الوقت ذاته بتسليم السلطة في البلاد إلى حكومة مدنية انتقالية من «قوى الحرية والتغيير». ومن جانب آخر، كان لافتاً إعلان الفريق محمد حمدان دقلو حميدتي، قائد قوات الدعم السريع، عن رفضه المشاركة في المجلس العسكري. وكذلك ابتعاد قائد المخابرات السودانية، صلاح قوش عن دائرة الضوء أثناء فترة الإعلان عن الانقلاب، ما أعطى إيحاءً بوجود خلافات محتملة بين أقطاب الانقلاب.

«تسقط تاني!»

لم تمض أربع وعشرون ساعة على إعلان بن عوف انقلابه على البشير حتى خرج مجدداً ليعلن استقالته من رئاسة «المجلس العسكري» وإسناد مكانه للفريق أول عبد الفتاح البرهان عبد الرحمن، والذي يشغل منصب المفتش العام للجيش. وما لبث الأخير أن دعا القوى والأحزاب وممثلي الجماهير إلى الحوار، إضافة إلى «إلغاء حالة حظر التجوال، إطلاق سراح المتظاهرين المعتقلين وفقاً لقانون الطوارئ، وإعادة هيكلة مؤسسات الدولة ومحاربة الفساد». وكذلك وافق البرهان على «تشكيل حكومة مدنية انتقالية في مدة أقصاها سنتين» تمهيداً لتسليم البلاد لاحقاً لحكومة منتخبة. وبالفعل بدأت مشاورات البرهان في اليوم ذاته عقب الإعلان المذكور مع «قوى الحرية والتغيير» والأحزاب والقوى السياسية السودانية.

هل هي «الخطة ب»؟!

بالغوص أكثر في أبعاد ما يجري في كواليس النظام السوداني، ينبغي ملاحظة، أن الضغط الجماهيري والشعبي على السلطة الذي توّج بانضمام عسكريين من أصحاب الرتب المتوسطة والصغيرة إلى جموع المحتجّين، أجبر السلطة على اتخاذ تنازلات متتالية لم تخلُ من وضعية «الدفاع النشيط» لاستيعاب الموجة الجماهيرية الصاعدة. تلك التنازلات بدأت بإزاحة البشير والتحفُظ عليه فقط على أمل إرضاء الجماهير وإعادتها إلى منازلها، وهو ما تحقق عكسه فعلياً.

تلا ذلك إبعاد عوض بن عوف وصلاح القوش، رئيس المخابرات السودانية الضالعة في قمع المتظاهرين، والتي تشكل إحدى ركائز الفساد في البلاد عموماً- من واجهة المشهد. كل ذلك في مقابل تلميع صورتي عبد الفتاح البرهان وقائد قوات الدعم السريع الفريق حميدتي. وهذان الأخيران معروفان بارتباطهما مع الحلف السعودي- الإماراتي العسكري في إطار حرب اليمن. إضافة إلى احتمالية ضلوع صلاح القوش بعملية توزيع الأدوار خلال هذه المرحلة الحرجة، وهو الذي يُعتقد أنه على علاقة وثيقة بواشنطن، فقد لمع نجمه من بوابة إدارة العلاقة المتوترة مع الأميركيين منذ أن كان مستشاراً أمنياً للرئيس عام 2011، وكان قد سُجن في ذلك الوقت بتهمة التآمر ضد الرئيس، ليخرج لاحقاً من السجن بضغوط أمريكية في إطار مفاوضات إخراج السودان من «اللائحة السوداء» الأمريكية.

لا شك أن التجربة السودانية الحالية استفادت على نحو كبير من نظيراتها في الدول العربية الأخرى إذ يُحسب لها تمسكها بالسلمية في بلد يعاني مواطنوه العوز ويفتقر إلى التنظيم وينتشر فيه السلاح بكثرة

ما البدائل؟

لا شك أن التجربة السودانية الحالية استفادت على نحو كبير من نظيراتها في الدول العربية الأخرى. إذ يُحسب لها تمسكها بالسلمية في بلد يعاني مواطنوه العوز، ويفتقر إلى التنظيم وينتشر فيه السلاح بكثرة. إلّا أن النقطة الأهم التي تحسب لصالح للحركة الشعبية السودانية هي تقدمها نسبياً من ناحية تنظيم صفوفها. فقد تشكّل «تجمّع المهنيين السودانيين» الذي يضم العديد من النقابات غير الرسمية للقطاعات المختلفة، وبات يعكس بشكل أولي جانباً من مزاج الجماهير. إلا أنه وفي المقابل يُخشى على هذه الكيانات الوليدة من اختطافها من قوى أخرى داخل وخارج جهاز الدولة ومن أطراف خارجية أيضاً.

بالملموس، لا تزال هذه الكيانات الوليدة فضفاضة من حيث التركيبة، وفي بعض الأحيان لا تتضح طريقة تمثيلها وتحالفاتها حتى الآن، ويظهر لها الكثير من المتحدثين على وسائل الإعلام من داخل وخارج السودان دون محددات واضحة للاتجاه العام لها، بالإضافة إلى انخراطها ضمن ما يسمى «إعلان قوى الحرية والتغيير»، وهو تحالف يضم مجموعة من الأحزاب السياسية، ومطالبتهم باستلام السلطة مباشرة في الفترة الانتقالية، وهو ما يدور حوله التساؤل من حيث واقعية الطرح، ولا سيما في ظل عدم استكمال عملية فرز وتنظيم قوى الحركة الشعبية.

خيارات واحتمالات

في مقابل تراكم خبرات الحركة الشعبية، تقوم الأنظمة بدورها هي أيضاً من تطوير أدوات المواجهة مع الجماهير. وإذا كان القمع المباشر يعد «فعلاً منعكساً شرطياً» لديها، ومنها النظام السوداني، فهي بلا شك تملك خيارات أخرى متعددة. ففي حالة السودان الخاصة، بات واضحاً أن لعبة تبديل الوجوه من، البشير إلى بن عوف إلى البرهان، هي أولها. لذلك لا يمكن استبعاد وجود ثانٍ وثالث لها.

عملياً قد يستغل النظام حالة عدم تبلوّر الفرز في صفوف الشارع والمعارضة السودانية، ويعمل على بعثرة أوراقه من خلال تمثيل غير متوازن ضمن تشكيلة الحكومة المدنية الانتقالية المرتقب تشكيلها، وتصبح إعاقة عملية التغيير من داخلها.

فيما يتمثل الخطر الأكبر ضمن الظروف السودانية الحرجة باحتمالية إثارة النزاعات الداخلية والأهلية، وبالأخص في ظل توفر الأرضية لذلك، ووجود ميليشيات تابعة للتيار الحاكم، وكذلك «الحركة المسلحة الدارفورية» ونزاعات أخرى في جنوبي السودان.

هذا الاحتمال يمثل التحدي الأبرز في البلدان التي تشهد اختلالاً في العلاقة بين جهاز الدولة والحركة السياسية والمجتمع، والتي يعد السودان أحدها، حيث إن قوى الفساد لديها الاستعداد والقابلية لتحويل نهبها من الحالة التقليدية عبر جهاز الدولة إلى الدخول في تجارة الحرب والتحاصص وعقد الصفقات مع الأطراف الإقليمية والدولية. الأمر الذي ينقل المسؤولية إلى قوى الحراك والأحزاب الوطنية السودانية، ومدى قدرتها على تنظيم صفوفها ضمن الفترة المقبلة.

الجزائر وصراع إعادة تشكيل الدولة

في العادة يكون مركز القوة مستقراً، وعندما يتعرض لهزة ما، أو حركة ما، فإنه يتشتت وتقل مركزيته، وهنا تدخل عناصر المكوّن في صراع.

■ عماد بيضون

البعض يبدأ بالخروج والابتعاد عن المركز، والآخرون الذين كانوا بعيدين يبدأ بالسعي للاقتراب من مركز النواة، والبعض يحاول البقاء في مركزه ويعمل على إعاقة أو تسريع حركة الآخرين. هذا تماماً موصوف ما يجري في الجزائر، إن الحركة الشعبية التي تنتقل في أطوارها بسبب طبيعة النظام وشكل توزيع الثروة والسلطة الجائر على عامة الناس، والمختص فقط بخواص مراكز المال والفساد، كما هو الحال في كل البلدان، وفي كل أصقاع العالم، تتشتت المراكز التقليدية، وتدخل في أزمة ولن تستقر الأمور فيها إلّا بعد إعادة توزيع السلطات والثروة بالشكل الذي يرضي الجماهير، وكون مثل هذا الانتقال ليس بالأمر السهل، وهناك من يعيقه فإنه لخطورته قد يدخل في طور الثورة المضادة، ويدخل بوابات العنف المعيق الرئيس لأيةِ حالة ثورية حقيقية.

أين هي المشكلة الجزائرية؟

الجذر العميق للمشكلة الجزائرية يكمن في الوضع الاقتصادي الاجتماعي الذي لا يسأل عنه فقط الرئيس المعزول عبد العزيز بوتفليقة، أو حتى الجيش، أو كل الأحزاب السياسية، بل جميعهم تحت ضغط وصايا صندوق النقد الدولي، الجزائر بحسب نشرة اقتصادية ل أ. بطاهر علي بعنوان سياسيات التحرير الاقتصادي والإصلاح منشورة في مجلة اقتصاديات إفريقيا، توجهت في عام 1989 برسالة حسن نوايا لصندوق النقد الدولي بسبب ارتفاع تكلفة الدَّين الخارجي للحصول على قروض، بعد وصول تكلفة الدَّين لأكثر من 70% من حصة الصادرات نتيجة انخفاض وارادات الدولة من قطاع النفط بعد تدهور الأسعار، ومن ذلك الوقت بدأت الجزائر بتنفيذ مقررات صندوق النقد الدولي المتمثلة بتخفيض الإنفاق العام، وكل ما يطلبه صندوق النقد، وإن كان الاستقرار في الجزائر مبنياً على أسواق النفط فقط، فإن الوضع الدولي اليوم وسياسات تقييد الائتمان ضد الدول النامية التي ينتجها الغرب، تؤدي حتماً مع تراجع دور الدولة إلى عودة الناس مجدداً إلى الشارع لإعادة الأمور إلى نصابها، وهنا تنشأ الأزمة، فالطبقة الحاكمة لا تملك الكثير لتغيره والطبقة المحكومة تريد تغيرات عميقة.

الجزائر في ثالث طور للحراك

بعد موجتين للحراك أولاهما في العام 2011 وما نتج عنها من رفع لقانون الطوارئ وفتح مجالات للحياة السياسية وتكبير الهوامش للحراك والعمل السياسي، وبعد موجة طويلة من الإضرابات العمالية أكبرها إضراب قطاع الصحة، حتى الوقت الحالي. الأسبوع الماضي طالب الجيش الجزائري بتطبيق المادة 102 من الدستور لإعلان الشغور الرئاسي قام البرلمان بتطبيق المادة، وتم عزل الرئيس، وتوجه الرئيس برسالة يطلب من الشعب أن يسامحه، الجيش أعلن عن اعتقال أكثر من مئة متورط بعمليات الفساد، ومنع الطائرات الخاصة من الخروج من الجزائر ضمن إرهاصات عملية الخروج للمرحلة القادمة، ولكل طرف من الأطراف أهدافه من العملية، والاعتقاد الأقرب للواقع من خلال قراءة رد فعل الجيش والحزب الحاكم في الجزائر إنهما من يسعيان لإخراج السيناريو المناسب لهما، وهذا يلقى قبولاً من بعض الدول الغربية التي تدعي أنها لا تتدخل.

في كل أصقاع العالم تتشتت المراكز التقليدية وتدخل في أزمة ولن تستقر الأمور فيها إلّا بعد إعادة توزيع السلطات والثروة بالشكل الذي يرضي الجماهير

الشارع والقوى السياسية

لم يقبل الشارع الجزائري الإجراءات السياسية التي قام بها الجيش بتعيين عبد القادر بن صالح رئيساً بالوكالة وبدا الشارع الجزائري أكثر نضجاً من بعض القوى السياسية الجزائرية التي كانت ترفض الحوار، وطالبت الأحزاب الجزائرية بتغير كل رموز النظام السابق وحدثت مواجهات في الشارع أدّت إلى جرحى ومعتقلين، حيث لم تدع ولا قوة سياسية إلى حوار وطني، على العكس بدت هناك عدمية وضيق بالرؤية من خلال طرح رحيل الكل، لكن وعي الشارع تجاه القوى من أمثال الإخوان المسلمين كان واضحاً في رفضه لأن تركب هذه القوى موجة الحركة الشعبية وتتسلق عليها «كما حدث في مصر».

التدخل الأجنبي وإمكانية تطور الأمور إنه بعيد جداً بحكم اللقاح الذي أخذته الجزائر بعد الحرب الأهلية في التسعينات من طرف، وبسبب موازين القوى الدولية أن تتدهور الأمور في الجزائر لحرب أهلية، القوة السياسية الأكثر عبثية في الجزائر، وهم الإخوان المسلمون أصدروا بياناً يرفضون فيه العنف والتدخل الخارجي رغم أنهم في الجمعة الأخيرة للتظاهر، بدأوا التلميح لإمكانية نقل السلطة لهم والإسراع في رحيل الكل، وطبعاً مثل هذه القوى لا يهمها إجراء عملية سياسية تعود فيها السلطة للناس، أكثر من استلامها هي السلطة.

أما على المستوى الدولي والإقليمي فالجار اللدود للجزائر المغرب أطلق مناورات مشتركة مع فرنسا على الحدود الجزائرية، وهي وإن كانت مناورات تؤكد الولاء المغربي للغرب في موجة الحراك الشعبي الرافض للفساد واعوانه الغربيين في المنطقة، فإن فيها محاولة للتأثير على سير الأمور في المنطقة المغاربية من دافع الخوف على النظام المغربي، الذي ما زال يريد أن يحجز لنفسه مكاناً في القطار الأوروبي السائر نحو التدهور إن بقي على الطريق الأمريكي. ولإن كان تحرك حفتر على الجبهة الشرقية للجزائر عاملاً إضافياً في توتير الوضع في الجزائر، المندرج ضمن الخطط الأمريكية في المسرح جنوب المتوسطي، إلا أنّ الوكلاء في فرنسا يقومون بواجبهم بلتوتير قدر الإمكان، مع العلم المسبق أن موازيين القوى الدولية لن تسمح لهم بدور كبير، أو حتى بأي دور مستقبلاً.

واشنطن تفقد عقلها!

لا يمر اسبوع دون مؤشرات جديدة على تراجع وزن ودور الولايات المتحدة الأمريكية دولياً وازدياد انكفائها وعزلتها، مما يفسح المجال أكثر فأكثر للعالم بأن يتنفّس.

■ **يزن بوظو**

من مصر وتوقيف شحنات النفط في السويس والناتو العربي، إلى تركيا وس-400، ثم الملف النووي الإيراني وتصنيف الحرس الثوري الإيراني بالإرهاب، وليس أخيراً صفقة القرن وغيرها من التفاصيل التي جرى تداولها مؤخراً. ولكثرتها، فقد يضيع المتابع ويرى فيها خطأً قدرة واشنطن على الإلمام بكل هذه المسائل، لكن الواقع عكس ذلك، فكثرتها وتكاثرها ناتج عن عدم قدرتها على حلّ أي تفصيل ومهما كان جزئياً منها، بل وتتعارض مع حلفائها حولها.

ثنائية دولار- سلاح تتماوت

تحكّمت أمريكا طوال العقود الماضية، وابتزت العالم من خلال قوّة ثنائية الدولار- السلاح، بعلاقتهم كسيف ودرع يحمي أحدهما الآخر، فلحظة خطر على الدولار يبرز السلاح، وبلحظة الضغط على السلاح الأمريكي يبرز الدولار وعقوباته. ومن خلال هذه الثنائية بالإضافة إلى العديد من العوامل الأخرى بلا ريب، اقتحمت واشنطن جدران دول العالم محصّلة ريعاً اقتصادياً وسياسياً فارضة بيئة أمنية تتناسب بهذا الحدّ أو ذاك مع مصالحها. لكن مع انفجار الأزمة الرأسمالية وبدء تغيّر موازين القوى الدولية، تتراجع قدرة تأثير هذه الثنائية بترابطها، وكل خطوة تراجع منها تجعل من لاحقتها أسرع وأقسى. وبغياب واشنطن تبرز القوى الدولية الجديدة الصاعدة لتغيّر هذه المعادلة دولياً لصالحها، وبالتوافق مع مصالح الدول المتأثرة منها. ولعل العناوين الأبرز في الفترة الماضية كانت تركيا ومصر... فكلتا الدولتين لهما من المقومات ما يجعلهما قوتين إقليميتين ذاتا تأثير في المنطقة، وخسارة الأمريكيين لهما تعني خسارتهم للمنطقة ككل بالمعنى الجيوسياسي للأمر، فبالجانب الاقتصادي تسير التحولات موضوعياً باتجاه العلاقات مع الشرق وتحديداً الصين، والتي بدأت تُعبّر عنها قوى موجودة داخل كلتا الدولتين، بالإضافة إلى العلاقات السياسية الدبلوماسية التي تتقوى باستمرار مع الجانب الروسي، وصولاً لتفاهمات عسكرية ومبيعات سلاح ضمن اتفاقيات مغايرة في نهجها للمصلحة الأمريكية ومتوافقة مع المصالح الوطنية والسيادية لهذه الدول... إن هذه التحوّلات تشكّل نقطة حساسة جداً بالنسبة لواشنطن على الصعد الثلاثة: اقتصادية وسياسية وأمنية، ليجري تراجعها ودفعها تدريجياً إلى الخارج، ليصبح تأثيرها صفراً، أي: تخسر امتدادها تماماً.

واشنطن «الإنتحارية»

بناء على هذه التطورات وما تمثله من تهديد لواشنطن، دأبت على طول الخط للضغط وإعاقة هذه التفاهمات الناشئة بين تلك الدول مع الشرق، فبالنسبة لتركيا بذاتها واتفاقيات السلاح بينها وبين روسيا من جهة وبوجودها ضمن ترويكا أستانا من جهة أخرى، دفعت واشنطن نحو توتير الأوضاع داخلها من محاولة الانقلاب الفاشلة إلى توريط الأتراك بإسقاط الطائرة الروسية، وأخيراً العقوبات الاقتصادية المتزايدة، لكن ومع كل خطوة تقوم بها واشنطن في هذا الاتجاه، كانت تنتهي بتقارب أكثر وتفاهمات أوسع بين تركيا وروسيا... أمّا حول ترويكا أستانا، فتمثّل هذه الخطوات بربطها مع تعقيد الأمريكيين للملف النووي الإيراني وتصنيف الحرس الثوري الإيراني كـ «منظمة إرهابية» من جانب واحد، تتوضح حالة الاستماتة أو «الإنتحارية» الأمريكية لفرط هذا التحالف لما يمثله من خطر على تواجدها في المنطقة أيضاً، فهذه المنظومة بوصفها نواة إقليمية قادرة على معالجة المشاكل انطلاقاً من مصالحها. وبالنسبة لمصر تمارس واشنطن ضغوطاً مشابهة عليها، مثل موضوع شراء طائرات «سو35»، والتهديد الأمريكي بعقوبات عليها. بالمقابل فإن اعتذار مصر عن المشاركة في ما سُمّي بالـ «ناتو العربي»، وبغيابها كقوة عسكرية كبرى، عن وجودها ضمنه يجعل من هذه الفكرة أمراً غير قابل للبدء فيه على الأرجح، ناهيك عن قُدرته على الاستمرار أساساً، كأيّ من التحالفات العسكرية العديدة التي جرت وفشلت سابقاً في دول الخليج.

«إسرائيل» آخر المعاقل

إحدى المسائل الأساسية بالنسبة لواشنطن في المنطقة، هي الكيان الصهيوني. و«إسرائيل» كقاعدة ونقطة ارتكاز لها عاثت من خلالها توتراً هنا، وتشكل هذه النقطة آخر وجود أمريكي. مع دخول روسيا على خطّ القضية الفلسطينية مؤخراً، وازدياد التفاهمات ضمن المنظومة الإقليمية الجديدة المتمثلة في ترويكا أستانا، ومع المؤشرات المتعاظمة بميل علاقات دول المنطقة نحو الشرق اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، تجعل من هذه القاعدة قاب قوسين أو أدنى من تفككها وزوالها بما هي عليه الآن... وبفشل واشنطن عن استكمال مشروع الفوضى عبر الثنائيات القومية والدينية والطائفية، عادت لتفعيل التناقضات الأساسية والوطنية بدءاً من نقل السفارة إلى القدس وليس انتهاءً «بضمّ الجولان» في الفترة التي تسبق إطلاق ما سُمّي «صفقة القرن» الأمريكية بوصفها «حلاً» للصراع العربي- الإسرائيلي... لتشكل هذه الخُطى مجتمعة-مع ما يجري تسريبه من هذه الخطة- محاولة لتعقيد الأوضاع في المنطقة وإعاقة التفاهمات والتقدّم فيها.

الأوروبيون— ربما- يتعلمون

إن هذه الخُطى جملةً وتفصيلاً تصدر من الجانب الأمريكي وحده دوناً عن حلفائه الغربيين، بحكم الأزمة واشتدادها، بل ويبدو واضحاً عدم الاتفاق الأوروبي- الأمريكي حولها جميعاً، حيث لم يعد بالإمكان اليوم استمرار أوروبا بتحالفاتها القديمة مع واشنطن، فإما أن يغرقوا جميعاً أو تغرق أمريكا وحدها أولاً. إن التوازن الدولي الجديد يفرض شكله: تحقيق التكافؤ الاقتصادي، يعني تكافؤاً سياسياً وعسكرياً، والذي يلغي بدوره منطق «الأقطاب» بوصفها تنافسية قائمة على «تحقيق الربح والمكاسب والهيمنة»، وكأيّ من القوى القديمة دولاً وحكومات وأحزاب، من لن يتكيّف مع هذا التوازن الجديد بفضاءاته، سوف ينقرض.

الصورة عالمياً

• للسبت الـ 22 على التوالي خرج آلاف الفرنسيين من حراك «السترات الصفراء» إلى شوارع المدن للتظاهر مطالبين بحرية التظاهر، احتجاجاً على ما فرضته السلطات الفرنسية من قيود على التظاهر منذ منتصف الشهر الماضي.

• وقعت اشتباكات عنيفة مساء السبت في تيرانا عاصمة ألبانيا بين أنصار المعارضة ورجال الشرطة، خلال فعالية احتجاجية نظمتها المعارضة أمام مقرَّي رئيس الوزراء والبرلمان، مطالبين إيدي راما وحكومته بالاستقالة، وإجراء انتخابات برلمانية مبكرة.

• تمكنت جماعة هاكرز من سرقة البيانات الشخصية لحوالي أربعة آلاف من موظفي وعملاء مكتب التحقيقات الفدرالي الأمريكي، ونشرها على الإنترنيت تتضمن أسماء أعضاء رابطة الأكاديمية الوطنية لمكتب التحقيقات الفدرالي في مدينة كوانتيكو في ولاية فرجينيا الأمريكية.

• أكّدت وزيرة الدفاع الهندية نيرمالا سيثارامان، أن بلادها تأمل في تجنب العقوبات الأمريكية على خلفية شرائها منظومة صواريخ «إس-400» الروسية، إذ الصفقة تمت قبل فرض العقوبات الأمريكية، وأعربت الوزيرة الهندية عن ثقتها، بأن الهند ستتجنب العقوبات، وقالت «أمل ذلك».

• أمهل الزعيم الكوري الشمالي كيم جونغ أون واشنطن حتى نهاية العام الجاري لتغيير موقفها من بلاده، وقال: إن انهيار المحادثات مع الولايات المتحدة زاد من مخاطر العودة إلى التوتر السابق، وأوضح، أنه لن يكون مهتماً بلقاء الرئيس الأمريكي مرة أخرى إلا إذا اتبعت الولايات المتحدة نهجاً صحيحاً في علاقتها مع بلاده.

افتراس الأمازون..

تحدثنا في المقال السابق عن الأوضاع الدولية والداخلية للبرازيل «بوصفها تحوي أكبر رقعة للأمازون داخل أراضيها» التي تسهّل وتمنهج تدمير الأمازون، أكبر غابة مطرية مدارية في العالم. وكما قلنا، فإنّ الأمازون هي المستوعب الرئيسي للتنوع البيولوجي- الجيني لكامل الكوكب وتحبس داخلها كميات هائلة من ثاني أكسيد الكربون إن أطلقت فستشكّل كارثة على تغيّر المناخ، وتدمير الأمازون يعني تدمير الكوكب. والمسؤول عن تدمير الأمازون هي الشركات الرأسمالية التي تحاول الهروب من أزمتها وإبقاء رأس المال العالم مسيطراً. وهي إذ تقوم بذلك، فعن طريق ثلاث طرق رئيسية:

■ تريكونتيناتال
تعريب وإعداد: عروة درويش

التعدين والمناجم.
الصناعة- الزراعية واستغلال التنوع الحيوي.
العالم الطبيعي «ويشمل بناء السدود وسرقة العلوم المحلية للنباتات الأمازونية».
وسنتطرّق لهم في هذا المقال بشكل تفصيلي:

التعدين والمناجم

يعود التعدين في الأمازون إلى زمن اكتشاف المنغنيز «وهو أساسي لإنتاج الحديد والصلب» في ولاية أمابا في عام 1945 من قبل شركة التعدين «إيكومي». وقد مثّلت إيكومي مصالح الشركة الأمريكية العابرة للحدود الوطنية «بيت لحم للصلب». وقبل ثلاثة أعوام من هذا الاكتشاف، أسست الدولة البرازيلية شركة لتسهل عمليات حفر المناجم: كومبانيا فالي ريو دوسه «CVRD». درست الشركة الأمازون أثناء بحثها عن معادن ليتم استغلالها. أسست «CVRD» شركة متضامنة مع شركة الصلب الأمريكية تدعى «Amza». سمحت هذه الشركة للدولة بمنح حقّ استخراج وإنتاج المواد الخام للشركات الخاصة الأمريكية دون تحمّل أيّة مخاطر، فهي ستكون محمية من Amza. وبذات المناورة، تمّ السماح للشركة الكندية «ألكان» باستخراج البوكسيت «أكسيد الألمنيوم المائي» دون تحمّل أيّة مخاطر.
لكن لم يُنظر إلى الأمازون كمنطقة توريد أساسي للمعادن الصناعية إلّا في عام 1967 أثناء حكم الدكتاتورية العسكرية. وقد تزامن هذا مع بيع الشركة البرازيلية «جاري المحدودة» إلى شركة «يونيفرس تانكشيب»، وهي شركة فرعية مملوكة للشركة الأمريكية متعددة الأنشطة «دانييل لودويغ». بدأت بالتنقيب عن البوكسيت والكاولين «الصلصال الطيني». وقد منحت الشركة تخفيضات وتسهيلات ضريبية من قبل الحكومة البرازيلية.
وقد أخذت الدولة البرازيلية على عاتقها إنشاء جميع البنى التحتية اللازمة للتعدين- مثل: الطرقات السريعة ومحطات الطاقة الكهرومائية. كانت الطاقة المنتجة تذهب بكليتها لشركات التعدين ولا يحصل عليها الشعب القاطن في الأمازون على الإطلاق، ولا العمّال الذين كانوا يُؤخذون إلى هناك. وهذا يجعلنا نفهم دون تعجب سبب استمرار السكان الأصليين، وما تبقى من مجتمعات كويلومبوس «المجتمعات السوداء الفارة من العبودية» والذين لا أرض لهم والمنتجون الصغار، في نزاع دام مع مشاريع الدولة لاستغلال الأمازون.
بحلول التسعينيات كان دور «CVRD» قد تغيّر بشكل كبير. في عام 1997 بيعت شركة الدولة للقطّاع الخاص بسعر 3،3 مليار دولار. كانت الصفقة غبناً ظاهراً. فقد ملكت الشركة أصولاً لم يتم التطرق إليها عند تحديد ثمن البيع- مثل: 12،9 مليون طن من الحديد. لم تعد الشركة في عام 2003 برازيلية حتّى، فقد تمّ الإتجار في سوق نيويورك للأسهم بمقدار 67% من أسهمها، بينما بقي 33% من الأسهم في يد البرازيليين.
لقد ثبّتت خصخصة «CVRD» سيطرة الشركات الخاصة العابرة للحدود على التعدين والمناجم في الأمازون. ليس للدولة البرازيلية اليوم دور أكثر من مجرّد تسهيل عمليات الاستخراج الخاصة. أكبر الشركات التي تعمل اليوم في البرازيل هي فال البرازيلية وهيدرونورته البرازيلية وسي.بي.إم.إم البرازيلية وماغنيسيتا الأمريكية وأنغلو أمريكان البريطانية وألبراس اليابانية- البرازيلية وألكوا الأمريكية وماركاس ماين الكندية وكينروس الكندية- البرازيلية وهايدرو باراغومياس النرويجية- الأسترالية وإم.آر.إن البرازيلية.
من المعادن الكثيرة التي يتم استخراجها من الأمازون، يشكّل الحديد قرابة 44،5% «ويتبعه النحاس بنسبة 11،1%». الصين واليابان هما المستهلكان الأكبر للحديد البرازيلي. يأتي معظم هذا الحديد من مناجم كاراخاس في ولاية بارا. يعتمد الاقتصاد البرازيلي على أسعار البضائع المرتفعة، والتي تتأرجح تبعاً للطلب الصيني والياباني على الحديد. وأيّ تباطؤ هنا سيؤذي الاقتصاد البرازيلي.
تصدّر البرازيل المواد الخام بأكثر حالاتها أوليّة، دون أيّ ابتكار تكنولوجي لازم لمنح قيمة للسلعة. في 2017، كانت نسبة 78،3% من الصادرات البرازيلية من منطقة الأمازون غير معالجة، و7،7% نصف- مصنّعة «مثل: الألومينا والألمنيوم الأولي»، و14% على شكل بضائع مصنّعة.
تسهم شركة فال وحدها بـ 62% من الصادرات من الأمازون «70،2% من ولاية بارا». لم تطوّر الشركة آليات التعدين لديها. وتعدّ البنى التحتية المهترئة، وكذلك الحصانة التي تحوزها من الدولة، من بين الأسباب الرئيسة التي تجعل شركتي فال وساماركو مسؤولتين عن أكبر الجرائم البيئية والاجتماعية في البرازيل. إنّ هذه الكوارث، وتشمل انهيار السدود المتداعية في ماريانا عام 2015 وبرومادينو عام 2019- وكلاهما مملوكان من قبل شركة فال. استخدمت هذه السدود المتداعية للسيطرة على الفضلات الناتجة عن تعدين الحديد الخام. أظهرت هذه الكوارث عدد المناجم المتداعية على طول الأمازون، وكذلك عدد من محطات الطاقة الكهرومائية العاملة اليوم، أو التي في مرحلة البناء أو المخطط بناؤها. فمقابل كلّ جبل حديد يتم تصديره، هناك جبل فضلات وفوضى يتم إنتاجه.
منذ انقلاب عام 2016 ووصول مجموعات ضغط التعدين- بشكل فاعل- إلى موقع القرار، ضغطت شركات التعدين على الدولة لتعديل قانون التعدين والمناجم. أرادوا إلغاء التشريعات المقيدة وفتح المناطق التي يجب أن تبقى محمية ومحافظاً عليها. أثّر تغيير قانون التعدين وسياسات الدولة بشكل مباشر على الأمازون على سلوك شركات التعدين في المنطقة.
أثناء حقبة الدكتاتورية العسكرية، أنشأت الحكومة «رينكا»، وهي منطقة محمية في شرقي الأمازون وموطن مجتمعات واجابي ووايانا وأباري من السكان الأصليين. أعلنت الدكتاتورية العسكرية بأنّها أرادت ضمان السيادة الوطنية للبرازيل على النحاس الموجود تحت الأرض. كما أنّ الاحتياطي يشمل رواسب من الذهب والماس والحديد والمنغنيز والكروم والتانتالوم والتين والكوبالت والنيوبيوم. قيل بأنّ هذه الرواسب قيّمة جداً. تستطيع شركة أنغلو غولد- أشانتي، وهي ثالث أكبر منتج للذهب في العالم، استخراج 7،4 غرامات من الذهب من كلّ طن صخور من مناجمها في كريخاس. أظهرت دراسات أجرتها شركة أبحاث التعدين «CPRM» بأنّ نسبة الذهب في كلّ طن صخور في منطقة رينكا هو 21،2 غرام. هذا أكثر إنتاجاً للذهب من الكثير من الأماكن.
في عام 2017، أي: بعد عام واحد من «الانقلاب الناعم» وولاية مايكل تيمر، ألغت الحكومة حماية إقليم رينكا. كانت إشارة واضحة لقطّاع التعدين والتمويل بأنّ حكومة

أثناء حقبة الدكتاتورية العسكرية أنشأت الحكومة «رينكا» وهي منطقة محمية في شرقي الأمازون وموطن مجتمعات واجابي ووايانا وأباري من السكان الأصليين

والاستخفاف المدمر بالكوكب «2»

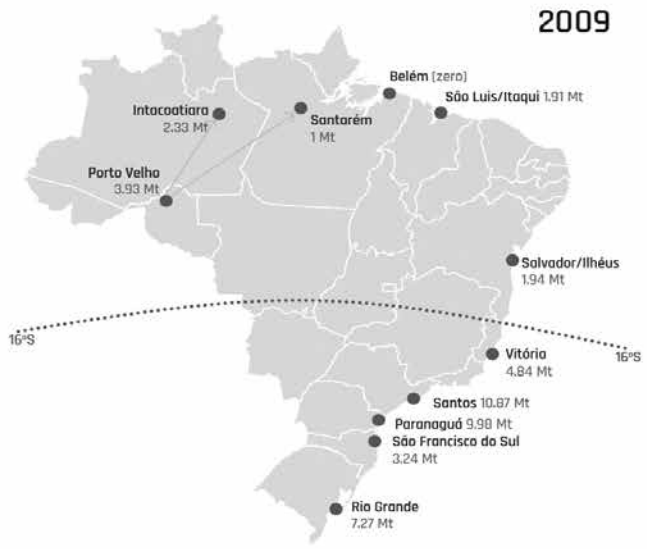

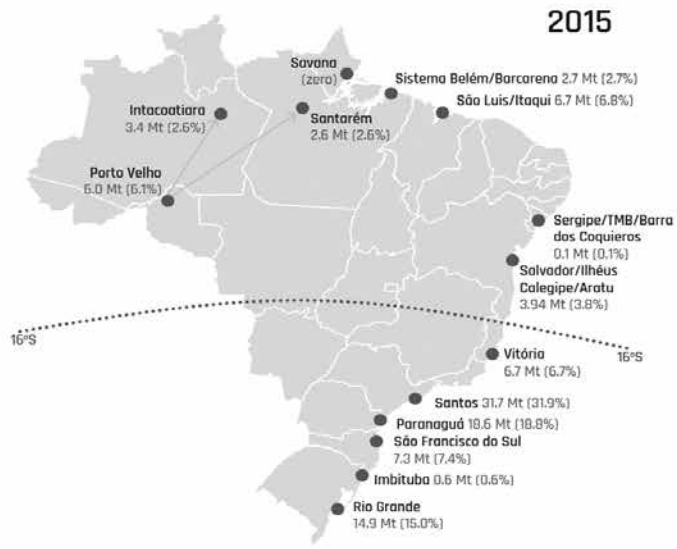

Grain Production - Millions of Tonnes (Mt)

Year	Brazil	Above 16°S	Below 16°S
2009	108.0 Mt	56.0 Mt (52.0%)	52.0 Mt (48.0%)
2015	180.9 Mt	104.7 Mt (57.9%)	76.7 Mt (42.1%)

Soy and Corn Export - Millions of Tonnes (Mt)

Year	Brazil	Above 16°S	Below 16°S
2009	43.0 Mt	7.0 Mt (16.0%)	36.0 Mt (84.0%)
2015	99.1 Mt	19.4 Mt (19.6%)	79.7 Mt (80.4%)

تيمر الجديدة ستقدم تنازلات هائلة وتفتح الاحتياطيات لتسمح بشكل حر باستغلال البرازيل بالمجمل، والأمازون بشكل خاص، وشكّل هذا قطعاً كبيراً مع سياسات «حزب العمّال البرازيلي» الذي استلم السلطة ما بين عامي 2003 و2016. لقد تمّ الاستهزاء بجميع ما كان يعتبر فيما مضى «مقدساً»: التعدين في أقاليم يقطنها السكان الأصليون، والحفر في إقليم حدودي وتلويث البيئة. في عام 2018 ألغي قرار تجريد رينكا من الحماية تحت الضغوط، لكن النوايا واضحة: الأمازون مفتوح لمجال الأعمال.

لم يذكر بولسونارو التعدين في خطته الحكومية. إنّه حساس للضغوط ويفضّل فسح الطريق أمام مجال الأعمال ولكن بهدوء. لكنّه ذكر مدى أهمية النيوبيوم والغرافين، المستعملان في الموصلات الفائقة والخلايا الشمسية. الغرافين منتج جيد وسيأخذ تطوير استخراجه وقتاً. أمّا النيوبيوم فيتم استغلاله بشكل كبير على شكل خام في البرازيل التي تشكّل المصدر العالمي الرئيس له «93,7% من النيوبيوم يأتي من البرازيل».

الصناعة- الزراعية

كانت البرازيل في بؤرة ما يسمّى «الثورة الخضراء»، وهي مجموعة السياسات التي دفعت بالتكنولوجيا العصرية باهظة الثمن إلى القطّاع الزراعي، وسعت إلى استبدال المزارع الصغرى والمناهج التقليدية في الإنتاج الزراعي. لقد دفعت بالبلاد إلى إنتاج زراعات أحادية، واستخدام مفرط للكيماويات الزراعية «تعدّ البرازيل المستهلك الأكبر لها في العالم». هذا ما يسمّى «بالاستخراجية الجديدة» المطبّق في القطّاع الزراعي. إنّ أرض البرازيل ومياهها ملوثة اليوم. لكنّ الحقول تستمر في الالتزام بقوانين الصناعة- الزراعية المكثفة- حيث تتقدم الزراعات الأحادية في إنتاج الحبوب «فول الصويا والذرة والقمح» والبذور الزيتية «أشجار النخيل» وتنمية أشجار الكافور. عنى هذا بالنسبة للأمازون المزيد من استخراج الموارد- المغذيات من التربة والماء من المياه الجوفية- زيادة نزع الغطاء النباتي «قفز إنتاج الخشب في الأمازون من تشكيله 3% من الإنتاج الوطني في 1960 إلى 27% في 1990».

خبرت البرازيل في الخمسين عاماً الماضية ثلاثة مجالات رئيسة للنمو الرأسمالي في مجال الزراعة:

«الثورة الخضراء المعمقة»: يُعدّ الغذاء المعدّل جينياً رمزاً للإسراع في تطوير تكنولوجيا جديدة للصناعة- الزراعية. تمّ بيع هذه التكنولوجيا للعامة بوصفها طريقة لحلّ مشاكل البرازيل الزراعية، وحتّى لتقليص نزع الغطاء النباتي في منطقة الأمازون. لكنّ ما فعلته الصناعة- الزراعية التي تقودها التكنولوجيا المكثفة هو تعميق تركيز الزراعة وصناعة تربية الماشية في يد الشركات العابرة للحدود. الشركات العشر الأولى في البرازيل نسبة لإحصاءات صافي إيراداتها هي جي.بي.اس البرازيلية ورايزن المختلطة وكوزان الهولندية وبونج الهندوراسية وكارغيل الأمريكية وبي.ار.اف البرازيلية ومافريج البرازيلية ولويس دريفوس الهوندوراسية. وتعدّ كارغيل وبونج من أقوى الشركات العابرة للحدود في العالم التي تسيطر على صناعة الحبوب، ومن بينها قطّاع فول الصويا. إنّ سيطرة عدّة شركات على القطّاع الزراعي يجعل من المنطقة مستورداً رئيساً للغذاء، تبعاً لكون كامل إنتاج الصويا والماشية معدّ للتصدير. تجعل هذه الظاهرة فول الصويا ثالث أكبر مادة وطنية للتصدير بعد الحديد والنحاس. ففي منطقة ماتو غروسو على سبيل المثال: يشكّل فول الصويا 43% من الصادرات «تتلوه الذرة بنسبة 15,2%». من المثير للسخرية أنّ المناطق التي تهيمن عليها الصناعة- الزراعية لا تنتج غذاءها الخاص، ممّا يجبرها على أن تعتمد على السوق وعلى القوى الخارجية لتلبية حاجاتها الأساسية، ويؤدي لتركيز الأرباح من المحاصيل المخصصة للتصدير في أيدي قلّة من منتجي الكبار المالكين للإنتاج.

إنّ المعرفة التي طوّرها السكان الأصليون على مدى آلاف السنين هي جزء من الأشياء التي ترغب الشركات العابرة للحدود الوطنية بالحصول عليها

«تقدّم الحدود الزراعية»: حاولت حكومات حزب العمّال «رغم عدم راديكاليتها وسلوكها الخجول الذي لم يرتقِ للتغيير الجذري، والذي أسهم بشكل أو بآخر بما يحصل اليوم على الساحة البرازيلية» ما بين عامي 2003 و2016 أن توقف عمليّة نزع الغطاء النباتي عبر اعتماد سياسات اجتماعية وبيئية على حدّ السواء، وذلك من خلال استخدام تكنولوجيا المراقبة التي منعت دخول أعمال الزراعة وقطع الأخشاب والتعدين من الدخول إلى منطقة سيرادو، أكبر منطقة سافانا في العالم. لكنّ حتّى حزب العمّال لم يكن ناجحاً. فقد تمّ نزع الغطاء النباتي عن قرابة 50 ألف كيلومتر مربع من سيرادو خلال العقد الماضي. إنّ إنشاء «MATOPIBA»- وهي أكبر منطقة صناعة- زراعية في العالم اليوم- قد أدمج عشرة ملايين هكتار من سيرادو في الأراضي التابعة للولايات حيث تعيش 800 ألف أسرة فلاحية. سمح تطوير هذا المشروع بتمديد الصناعة- الزراعية إلى الأمازون. اليوم يحيط بالغابة حزام من الأراضي الزراعية لهذه الولايات. بدأ إنتاج فول الصويا في المنطقة المركزية في البلاد وتقدّم وصولاً إلى غابات الأمازون كنتيجة للاستثمارات الكبرى والتكنولوجيا الحديثة المستخدمة. لقد وصلت الأراضي التي استعمرتها الصناعة- الزراعية من الأمازون في عام 2011 إلى 9,5 مليون هكتار، حيث استخدم 68% منها في إنتاج فول الصويا. كما انتشر إنتاج اللحوم في المنطقة بذات الطريقة الإفتراسية، ليؤدي إلى زيادة نزع الغطاء النباتي والاستيلاء على الأراضي. كان هناك في عام 2016 أكثر من 85 مليون رأس ماشية- أي: نسبة ثلاثة رؤوس ماشية لكلّ قاطن في الأمازون البرازيلي. دعمت الحكومة شركات مثل: جي.بي.إس فريبوي «شركة السلخ الأكبر في البرازيل» عبر التشاركية مع القطّاع والاستثمار العام وعبر تشجيع هذا القطّاع على زيادة استغلال الأمازون.

«الرأسمالية الخضراء»: إنّ أكثر الآليات تطوراً وتعقيداً لتمدد الصناعة- الزراعية في الأمازون هي استخدام الرأسمالية الخضراء. فأدوات مثل: اعتمادات الكربون، والحدّ من الانبعاثات الناجمة عن إزالة الغابات وتدهورها «REDD»، والدفع مقابل الخدمات البيئية، جميعها وفّرت ذرائع خبيثة لاستغلال الموارد عبر الادعاء بأنّ استباحة الأمازون هي طريقة لحماية الأرض عبر هذه الوسائل. كان الأمازون محمياً من قبل البشر الذين قطنوه، وهم الذين احترموا التنوّع النباتي والحيواني فيه. هم لم يحتاجوا الرأسمالية الخضراء لتعلمهم كيفية احترام الأرض. يتم اليوم استخدام التكنولوجيا الحديثة، باسم الحفاظ على الأرض، لاستخراج الموارد من الأمازون. يريدون أن يستنفذوا الأمازون باسم الحفاظ عليه.

إنّ الانتهاك الخطير المتسارع الذي تقوم به الصناعة- الزراعية لموارد البرازيل الطبيعية ولإقليمها هو هائل من جميع المقاييس، وهو مركّز بشكل خاص على إقليم الأمازون. يدير قطّاع الصناعة- الزراعية البرازيلي حوالي 350 مليون هكتار. تحتل المحاصيل الزراعية 64 مليون هكتار، بينما تحتل الماشية قرابة 159 مليون، ومنها قرابة 50 مليون مروج مهملة، حيث إنّها غير منتجة. فقط 100 مليون هكتار يتم الحفاظ عليها، مع 110 مليون في المنتصف يتم تحديدها بأنّها مناطق محمية «وتشمل الأراضي التي يقطنها السكان الأصليون». وهذه الأراضي المحفوظة هي في حالة تنازع ذي أبعاد قاريّة.

نهب المعرفة

إنّ المعرفة التي طوّرها السكان الأصليون على مدى آلاف السنين، هي جزء من الأشياء التي ترغب الشركات العابرة للحدود الوطنية بالحصول عليها. كان هذا واضحاً فيما يخصّ النباتات التي أصبحت أدوية وتمّ تسجيل براءات اختراع لها في أوروبا لإعادة بيعها بأرباح هائلة. في القرن التاسع عشر أزالت إنكلترا 70 ألف بذرة شجرة مطاط من الأمازون، وذلك دون أي مقابل للمجتمعات المحلية الأصلية التي طوّرتها، وأعادت زراعتها في حقول المطاط الماليزية. تمّت سرقة المعارف والتقاليد وتحويلها إلى حقوق فكرية مملوكة للشركات. عنى اعتراف الدولة البرازيلية في التسعينيات من القرن الماضي ببراءات الاختراع هذه بأنّها ليست صاحبة سيادة على باطن الأرض وعلى منتجات الأرض، وبأنّها محرومة من استخدام تكنولوجيتها الخاصة، وأنّ عليها دفع ثمنها لشركة مالكة لها في مكان آخر في العالم. لقد بدأت خصخصة المعرفة العامّة للشعب الأمازوني وبدأت الشركات العابرة للحدود الوطنية بتسجيل براءات اختراع عن المواد الفعالة في النباتات الأمازونية. لا يمكن أن يكون هذا الأمر سوى قرصنة- بيولوجية، ومن خلاله تمّ نهب معرفة الأمازون العامّة.

يحتاج التعدين إلى كميات هائلة من المياه. هناك حاجة للمياه لتحويل البوكسيت إلى ألمنيوم رئيسي، ولإنتاج المواشي وتوليد الطاقة عبر بناء محطات الطاقة الكهرومائية. يوجد في الأمازون 20% من المياه العذبة على ظهر الكوكب. لقد تمّ تسليم هذه المياه إلى الشركات العابرة للحدود الوطنية بأبخس الأثمان. في هذه الأثناء، فقط أقلّ من 5% من الأسر القاطنة للأمازون لديهم أنابيب مياه عذبة أو شبكات صرف صحي. تنهب الشركات المياه، ويتم تدمير الأنهار لأجلها. لم يعد الأمازون يبدو كما كان قبل مائة عام.

القدرة التعبيرية والسخرية عند فيليني

لقد ظهرت فكرة الفن في أشكالها الكلاسيكية، الذي اتخذ على عاتقه مهمة إزالة عيوب المجتمع، وذلك في نظرية شيللر حول التربية الجمالية، وكما هو معروف فإن شيللر خاف من القرارات الحاسمة حول الثورة الفرنسية العظمى في القرن الثامن عشر، وبدأ يفكر ويبحث عن طرق لتحسين المجتمع على ألّا تكون هذه الطرق ثورية، أي: دون عنف ووحشية، فاعتبر أنّ الفن يستطيع أن يمد جسراً عبر الهوة التي تفصل عالم العقل عن عالم العاطفة، وهو وحده يستطيع تربية الناس أحراراً والمواطنين كراماً.

■ المخرج بشار الدهان

إن الكثير من الفنانين في الغرب، حتى الواعين والواقعيين في التصوير الفني للحياة، يتمسكون مرة تلو الأخرى بهذه الأوهام والسذاجة ويشككون بمقدرة الفن ورسالته الإبداعية والاجتماعية بجمع الناس ولإبعاد فرقتهم. كما تحول هذه الأوهام دون رؤية العالم الواقعية كما تحول دون رؤية تناقضاته، حدث قبل هذا مع فيليني، نقد بصورة فلسفية فيلمه «الطريق». فبعد نقاش الكثير من النقاد لهذا الفيلم، كتب فيليني: من المستحيل اليوم التخلص من الشعور بالوحدة والغربة بطريقة التطلع إلى وحدة الصف والديمقراطية، ومن الضروري الكشف عن الأسباب التي وُلدت منها هذه الحالة.

يستطيع أن يكون فيليني بلا رحمة وأن ينزع الأقنعة.. وأن يغسل الأصبغة وأن يحطم الكلمات الجميلة، التي يحتمي بها أبطال «الحياة الحلوة»

«الحياة الحلوة»

كما هو معروف يستطيع أن يكون فيليني بلا رحمة، وأن ينزع الأقنعة.. وأن يغسل الأصبغة، وأن يحطم الكلمات الجميلة، التي يحتمي بها أبطال «الحياة الحلوة»، ويسترون بها فسادهم وحياتهم الفارغة، وأنانيتهم ويتسم الانسجام في أحسن أفلامه بين فيليني الساخر وفيليني المحلل، نعم إنه فيدريكو فيليني الفنان الغاضب الذي يستطيع أن يخترق إلى أعماق الشعور الإنساني، ولكن في حل موضوع حول دور الفن في إدراك وإزالة أو إضعاف شقاء الإنسان الذي يعيش الغربة، فلا يتخذ فيليني لنفسه موقفاً واقعياً، فهو يفهم الشقاء في أفلامه فهماً مجرداً، بعيداً عن الواقع التاريخي والاجتماعي المحدد. ومهم جداً في مثل هذا المعنى، فيلم فيليني «روما» الذي يجمع بين التاريخ والحاضر، ويرى أن القاسم المشترك للوجود الإنساني هو اليأس والقنوط وفقدان الأمل.

تاريخ روما

وضعت لافتة عملاقة من أجل الدعاية للفيلم، تظهر بها عاهرة متعجرفة تقف بعظمة على روما في ليل دامس الظلام، ويخترق الظلام شعاع يصدر إمّا عن حريق وإمّا عن عاصفة، صورة فنية دقيقة حول المدينة الأبدية روما، إنها لوحة جدارية بصورة حسية بصرية وبشيء من المبالغة تنقل وتعبر عن الإحساس المأساوي للحياة وعن غضب وغيظ الإنسان.

يقلل المخرج في بداية الفيلم من قيمة تاريخ روما، ويعتبر أن هذا التاريخ منسوج من الأساطير، وهناك مشاهد كاريكاتيرية من قبل مجموعة من الشباب الضعاف جسدياً يضعون على رؤوسهم طاقيات يقودهم معلم عبر ساقيه قليلة العمق وينتقلون بحذر من صخرة إلى أخرى كي لا يبللوا ملابسهم. كلّما اقتربت أحداث الفيلم إلى الزمن المعاصر كلما أصبحت أحداثه ذات طابع شرير. وتعرض على الشاشة مشاهد تصور الحياة قبل الحرب، النخبة البورجوازية تتحاور مع الفقر المزري.

وتعرض بجهد الكرامة والنبل مع الصغر والتململ في الحياة الإنسانية.

تصور مشاهد الحياة أثناء حكم موسوليني من خلال المشاهدين، نسمع صراخاً متوحشاً، وتهديداً- لمن يخدم آلهة الشعر والأدب فيرمون- ببقايا التفاح، ويضربونهم أحياناً، إذا لم يبذلوا جهداً كبيراً في إقناع المشاهدين، تعرض الحفلة كما كانت تعرض حفلات النبلاء سابقاً، الذين كانوا يفتشون عن وسائل للتسلية.

عرض الأزياء

يعتبر مشهداً أساسياً ذلك المشهد الذي يعبر عن استقبال كبير بعد الحرب للكاردينال، يلتقي المجتمع الرفيع في قاعة فاخرة. فتتذكر العجائز، الأيام الماضية.. يأتي الكاردينال الذي يمد يده لكي يقبلها الآخرون ويجلس على كرسي الشرف وكأنه يتربع على العرش. يبدأ عرض الأزياء فعلى منصة خشبية وفي قاعة نصف دائرية تبدأ الراهبات بعرض الملابس التي تصلح للحياة اليومية ومن أجل خدمة القداديس. يشارك رجال الدِّين وأمراء الكنائس وفي النهاية هياكل عظمية تجرها عربات تعرض الأكفان وموديلاتها المختلفة.

يصور فيليني روما كمدينة قذرة مشوهة حياة الأرستقراطية المتعطرسة وحياة الأوساط الشعبية المتوحشة لقد أصبحت المدينة بؤرة لكل العيوب

يصور فيليني روما كمدينة قذرة مشوهة. حياة الأرستقراطية المتعطرسة، وحياة الأوساط الشعبية المتوحشة. لقد أصبحت المدينة بؤرة لكل العيوب، مدينة العاهرات والقوادين ومتعاطي المخدرات ورجال الشرطة القساة الذين يمثلون الوجه الآخر للتقدم المعاصر. يقوم بعملية التقدم بصورة فعلية الذين يبنون المترو. يصطدم بناة المترو أثناء حفرهم الأنفاق بكنوز وخزائن روما العريقة. فيكتشفون في إحدى الأمكنة لوحات جدارية رائعة الجمال لكن الهواء الخانق تحت الأرض يقضي على جمال تلك اللوحات. ومعنى ذلك أن الإنسان المعاصر الذي تأثر بالتقنية يقضي على الجمال ويهدم كل ما تصل إليه يده. هكذا عَبّر فيليني عن تلك الفترة من خلال الروح العدوانية الوقحة والدعارة وزحمة السيارات أثناء العاصفة، وتخريب اللوحات العريقة في النفق، المترو، هذه الأمور كلها وأمور أخرى عبارة عن رمز تشويه حياة روما، هذا هو شكل التصوير، وهذا هو الأسلوب، وهذا هو المنطق الداخلي للأحداث السينمائية.

الإنسان السافل

كما دخل فيليني تجربة تصوير فيلم «كازانوفا»، هذا الشخص المنحط والخبيث الساخر والحيوان المعتز بنفسه. فقد صرح فيليني في مقابلة أجريتها معه مجلة «الإكسبريس» في عام 1975، قال فيها: كيف يمكن إنتاج فيلم حول هذا الإنسان السافل؟ من أية وجهه نظر؟ قرر فيليني فقط عن طريق التصوير الفني للفراغ. «لا أية إيديولوجيا» ولا أية إثارة ضجة ولا أية مشاعر ولا أية نواح جمالية ولا أي نقد اجتماعي. غياب كل شيء فيلم لا يُبقي على شيء، هنا تطرح هذا السؤال: ماذا بقي كي يُنتَج هذا الفيلم؟ بقي فقط الشكل المتقن، الذي يثير القشعريرة والمستقبل المظلم الذي يدعو لعدم الحركة والخمول، لأن في عيني كازانوفا الزجاجتين لا تقرأ غير هذا.

فيلم «كازانوفا» واقعي وطبيعي في وصفه لمغامرات البطل الجنسية. فشذوذ البطل الجنسي يصل لدرجة الأسطورة والخيال. تفصل هذا الفيلم عن الأفلام الجنسية الأخرى التجارية نقطتان، الأولى: القدرة التعبيرية عند فيليني وما شابه. الثانية: سخرية فيليني العميقة. ويتصف فن فيليني بهاتين الصفتين. «المناظر الجنسية تمثل في الفيلم وكأنها بالية، فيسخر فيليني بغضب من بطله، ولكنه أيضاً يسخر من الجمهور الذي اعتاد على خداع الشاشة البورجوازية».

الذهب العتيق

تعمَّدَت نحو ثلاثين سيدة التخلصَ مما علق بهنَّ من أدران باتت تشكل الثقافة المشوهة السائدة اليوم. وخلال طريقهن الذي أدى بهنَّ أخيراً إلى إحياء حفلِهنَّ الثاني على مسرح مجمَّع دمر الثقافي يوم الثلاثاء، الواقع في التاسع من الشهر الحالي، التفَّ شالٌ خمري رقيق حول عنق كلٍّ منهنَّ كاختزال لزيٍّ موحَّد، وحوَّطهنَّ عنوان «دهب عتيق» ليشكِّلا معاً إطاراً لمظلةٍ يجتمع في ظلها كورال بقيادة المايسترو حسام الدين بريمو.

■ ناريمان عاطف

امتلأ المسرح المغلق في المجمع طوال ساعة وثلث هي زمن الحفل، ولم تتسع مقاعده للجمهور الذي اضطر بعضه للحضور وقوفاً أو جلوساً على الدرجات للاستماع إلى اثنتي عشْرة أغنيةً انتمت إلى ما يصطلح السوريون على تسميته اليوم »الزمن الجميل«، ولعل محاولة الكورال التعلّق بذلك الزمن وطموحات جيله، يكمن وراء اختيار اسمه المعنَّق. تراوحت الأغاني بين الشعبي والشعبي الوطني «ميِّل يا غزيِّل- سهل حوران- ..»، والكلاسيك العربي «أنا قلبي إليك ميَّال- بين الرضا وبين الدلال- خفيف الروح- اسأل مرة علي-..»، وما أسس له سيد درويش وعُرِفَ فيما بعد باللون اللبناني أو الرحباني «يا لور حبك- بيتك يا ستي الختيارة- يا رايح عَ ضيعتنا-..». رافق الكورال مجموعة من العازفين على الآلات الموسيقية الشرقية «الناي- البزق- القانون- إيقاع- عود»، والغربية «أوكورديون- كمان- تشيللو- كونترباص»، ما أغنى جمالية الحفل. وكان لافتاً تفاعل الجمهور مع مروحة الأغاني هذه، بما ينفي فرضية «الجمهور عايز كِده» الرائجة والمروِّجة لأغنية اليوم المؤرِّضَة التي تمثل شكلاً فاقعاً من أشكال الاغتراب الثقافي.

تأسس كورال «دهب عتيق» عام 2017 برعاية وزارة الثقافة وقيادة المايسترو حسام الدين بريمو، وبمبادرة بضعة نساء شكَّلن النواة الأولى للكورال الذي أقام حفله الأول نهاية العام المذكور بنحو عشرين سيدة، واتَّسع فيما بعد ليحيي حفله الثاني بنحو ثلاثين امرأة جميعهنَّ عاملات من مختلف الأعمار ، يُدرِكن أن المجهود الجماعي حتى لو كان غنائياً يحتاج تنحيةَ العامل الأناني جانباً.

أخبار ثقافية

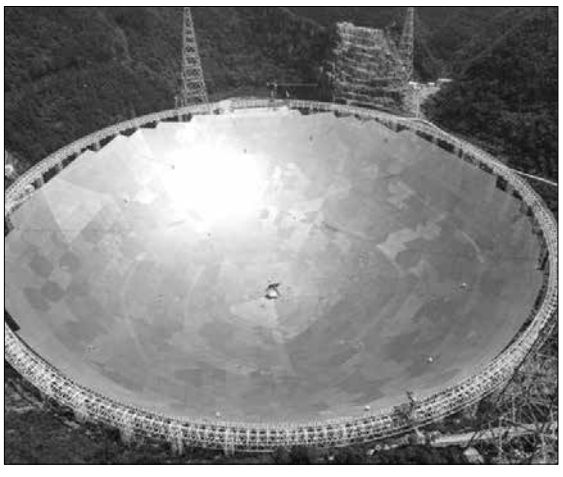

أكبر تلسكوب في العالم

يعمل فريق من الفلكيين على وضع خطط رصد للتلسكوب الراديوي الكروي البالغ قطره 500 متر، أكبر تلسكوب حتى الآن، فيما من المتوقع أن تؤدي اكتشافاته إلى تغييرات عديدة. استكمل بناء التلسكوب الواقع في منخفض كارست في مقاطعة قويتشو بجنوب غربي الصين في أيلول عام 2016، ويجري حالياً التشغيل التجريبي مع بدء العمل العادي في وقت لاحق من هذا العام. وأفاد المرصد الفلكي الوطني الصيني إنه وخلال الاختبارات والتشغيل العلمي المبكر، بدأ التلسكوب في إجراء اكتشافات فلكية جديدة، لا سيما النجوم النابضة بأنواعها المختلفة.

فيلم خط البلقان

تصدَّر فيلم المغامرات العسكرية «خط البلقان» إيرادات شباك التذاكر أيام العطل الأسبوعية في روسيا ورابطة الدول المستقلة، الفيلم من إخراج أندريه فولغين، ويروي قصة عملية تحرير جريئة خاضها أفراد الكتيبة الروسية التابعة لقوات حفظ السلام، بغية فرض السيطرة على مطار سلاتينا في كوسوفو. ومساعدة السكان. والفيلم من بطولة الفنانين الصرب والروس: غوشا كوتسينكو، أنطون بامبوشني، ميلينا رادونوفيتش، ميودراغ رادونيتش، غويكو ميتيتش وغيرهم. وعُرِضَ الفيلم في روسيا وصربيا بمناسبة حلول الذكرى الـ 20 للقصف البربري الذي تعرضت له صربيا عام 1999، على أيدي حلف شمال الأطلسي.

كانوا وكنا

احتفلت سورية بعيد الجلاء من أقصاها إلى أقصاها في عام 1954، بمواكب ومهرجانات شعبية كانت تنظم كل عام بيوم السابع عشر من نيسان، قبل أن تمنع سلطات الوحدة السورية المصرية الطابع الشعبي والجماهيري لاحتفالات الجلاء عام 1959. في الصورة: توافد الجماهير إلى احتفالات الجلاء في دمشق عام 1954.

للانتساب لحزب الإرادة الشعبية بجميع المحافظات.. نرجو الإتصال على الأرقام التالية:

المحافظة	الاسم	الهاتف
درعا	خالد الشرع	0968844820
السويداء	هاني خيزران	0952769397

دمشق وريفها	محمد عادل اللحام	0944484795
حمص	محمد زهري زهرة	0933145891
اللاذقية	صلاح طراف	0988386581

طرطوس	صلاح معنا	0999725141
حماة	أنور أبوحامضة	0933763888
دير الزور	زهير المشعان	0932801133

الحسكة	حمدالله ابراهيم	0999212404
حلب	جمال عبدو	0933796639
الرقة	محمد فياض	0945817112

«تم إغلاق تحرير هذا العدد يوم الأحد 2019/04/14» «قاسيون» أصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 2003/12/18
قاسيون ناطقة باسم حزب الإرادة الشعبية بقرار المؤتمر التاسع الاستثنائي في 2011/12/03

الصين تستحضر أبطالها

صادف الأسبوع الماضي ما يسمى في الصين بِعيد أو يوم «مسح القبور». العيد عمره آلاف السنين، وكان تاريخياً مرتبطاً بزيارة القبور في فترة بداية الربيع من كل عام، وذلك لتقدير أرواح الموتى والاهتمام بالضريح. هذه العادة متشابهة بالعادات لدى الديانات السماوية أيضاً، من خلال الزيارة السنوية لقبر الراحل، إمّا في أول يوم من الأعياد كالفطر مثلاً لدى المسلمين، أو في النهار الذي يصادف تاريخ الرحيل.

■ محمد المعوش

ولكن هذا العيد لدى الصينيين تحول مع التاريخ لكي يصير أوسع من مجرد تقدير واستحضار ذكرى أفراد العائلة، بل توسع ليشمل أفراداً لهم مكانة ودور اجتماعي في حياة الشعب ككل. وكونه صادف هذا العام مرور 70 عاماً على تأسيس جمهورية الصين الشعبية، اكتسى عيد «مسح القبور» بمضمون مضاعف أيضاً، حيث تم استحضار العديد من الأبطال الوطنيين في الصين، إمّا خلال مرحلة الحرب الوطنية ضد الاحتلال الياباني، أو أولئك الذين ساهموا في نهضة الصين الصناعية الأولى، ومن ثم النهضة العلمية اللاحقة في مرحلة ما سمي بـ «الانفتاح».

وفي المناسبة أضاءت شبكة التلفزيون المركزي الصيني على الحدث، مقدمة تقريراً يتضمن شهادات مصورة لمواطنين من مختلف الأعمار وهم في زيارة لأضرحة الشهداء أو العمال الذين حصلوا على لقب بطل الصين، إضافة إلى أضرحة بعض العلماء المهمين في نهوض البلاد. وتضمنت الآراء تقديراً لأرواح الأبطال الذين دافعوا عن مستقبل الشعب الصيني، والذين لولا تضحيتهم بأنفسهم لما كان الحاضر «الآمن والمزدهر ودور الصين تجاه السلام العالمي». وقدم القسم المكتوب من التقرير عرضاً للعديد من الأفلام الصينية التي تدور أحداثها حول حياة وشخصيات الأبطال الذي يرقد أغلبهم في مقابر السلام.

«من أجل صين جديدة»

أحد هذه الأفلام «من أجل صين جديدة» المنتج في العالم 1955 يدور حول حياة الجندي الشيوعي في جيش التحرير الشعبي اسمه «دونغ سوينروي» «1929–1948»، واسم الفيلم مقتبس عن جملة تضمنتها رسالة الجندي الأخيرة قبل استشهاده. دونغ ضحى بحياته من أجل تدمير تحصين للعدو كان يرمي بنيرانه على القوى المهاجمة، ففجر نفسه بالتحصين. والفيلم كونه يقدر 100 من أهم الرموز الوطنيين قدَّم له ملصق سوفييتي كذلك.

«معركة حول جبل شانغ غانلينغ»

يعود الفيلم للعام 1956 والذي تدور أحداثه حول الحرب الكورية وتضحيات المتطوعين الصينيين في تلك الحرب جاعلاً من أغنية «الأرض الأم» في خلفيته الموسيقية. ويظهر الفيلم نكران الذات، وروح التضحية التي أسميت بـ «روح شانغ غانلينغ «الجبل»». ومن الشخصيات المركزية التي يقدم لها الفيلم هو الشهيد «هوانغ جيغوانغ» «1931–1952» والذي رمى بنفسه في وجه نيران رشاش العدو لكي يحمي رفاقه، ومات عن عمر 21 عاماً، وأعطي لقب «بطل معركة، درجة مميز» من قبل الحكومة الصينية وأصبح رمزاً للتضحية ونكران الذات في الجيش الصيني لاحقاً.

«الأخت جيانغ»

الفيلم مبني على أحداث رواية «الصخرة الحمراء»، يتتبع حياة البطلة الصينية ذات الرمزية الواسعة «جيانغ جوينيوين» «1920–1949». البطلة كانت عضواً في الحزب الشيوعي الصيني، وصارت قائدة لمجموعات حرب العصابات بعد مقتل زوجها، واستشهدت «عن عمر 29 عاماً» تحت تأثير التعذيب بعد وقوعها في الأسر ورفضها الاعتراف على رفاقها في المجموعة. ورسالتها الأخيرة معروضة اليوم في متحف في شونغسينغ والتي تعبر فيها عن إصرارها على القتال وحبها لابنها.

إن جوهر هذه الأفلام هو إبراز القيم والسلوك والأخلاقيات التي قدمها أناس عاديون في ظروف غير عادية

«جانغ سايد»

يظهر الفيلم أيضاً قيم التضحية بالذات والشعور العميق بضرورة المقاومة من أجل المستقبل، وتدور أحداثه حول حياة القائد العسكري في الحزب الشيوعي الصيني «جانغ سايد» «1915–1944»، وهو فيلم حديث نسبياً أنتج في عام 2004 عن فترة الحرب الصينية– اليابانية. استشهد «جانغ» عن عمر 29 عاماً أثناء حفر كهف لاستخدامه كفرن للفحم، حيث حصل انهيار مفاجئ في الكهف ما جعل جانغ يبقى للنهاية من أجل تأمين خروج الجميع. وكتقدير لذكراه ألقى القائد الصيني المؤسس «ماو زيدونغ» خطاباً «في خدمة الشعب»، الذي اعتبر من خطاباته المؤثرة، مبرزاً فيها قيم النبالة ونكران الذات، وقال في الخطاب: إنّ موت «جانغ» «هو أثقل بالفعل من جبل تاي».

قيم نقيضة من أجل المستقبل

إن جوهر هذه الأفلام هو إبراز القيم والسلوك والأخلاقيات التي قدمها أناس عاديون في ظروف غير عادية، استجابة للضرورات التي أملتها المهمات عليهم، كونهم ربطوا موضوعياً حياتهم بحياة المجتمع المحيط بهم ومستقبله ومصيره المشترك. ولهذا هم اليوم يعودون لدائرة الضوء من جديد، وذلك لأنه «دون تقدير الدروس من الماضي لن نستطيع تقييم الحاضر وشروط الدفاع عنه» كما عبر أحد المواطنين الشباب في التقرير. هذه القيم التي تم تحطيمها في ظل منظومة القيم ونمط الحياة الذي أسرته ثقافة التسطيح والتسليع والاستهلاك وتدمير الروابط العميقة بين الإنسان والقيم الإنسانية الكبرى، التي هي ليست إلّا تعبيراً عن ضرورات التقدم الاجتماعي نفسها، وليست فقط تعبيراً عن اختيار إرادي يمكن رميه جانباً. هذه المنظومة الليبرالية التي في تعظيمها من النمط الفرداني في الحياة، حيث كل شيء «ممكن» الحصول عليه بالشكل الفردي من الممارسة «وهو انعكاس لنمط الحياة الاستهلاكي مثلاً في الصين اليوم والذي يشكل خطراً على الوعي الجمعي الصيني الوطني في مواجهة مهام الدفاع عن المجتمع وتقدمه»، قتلت كل روح إنسانية اجتماعية في الوعي، وهو ما جلب المآسي عكس ما تم الترويج له. مآسي سلب الإنسان إنسانيته، التي انقلبت عليه سلباً لقدرته على تقريره مصيره.